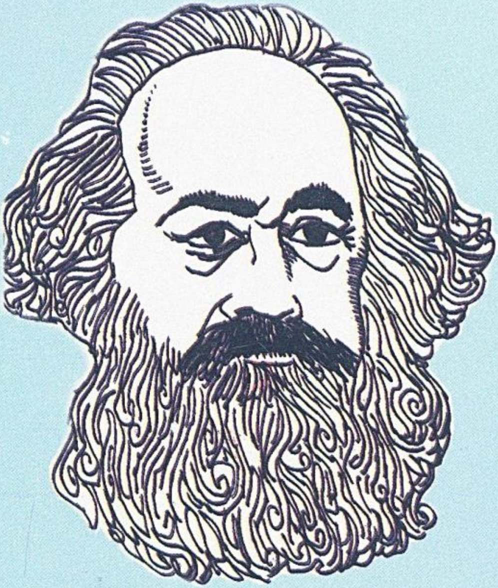
المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة



أقدم لك.. ماركس

تأليف

ريوس

ترجمة

إمام عبد الفتاح إمام

304

المشروع القومى للترجمة

أقدم لك ...

ماركس

تأليف

ريوس

ترجمة

إمام عبد الفتاح إمام

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠١

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠١/١٦٧٧٥

التنفيذ والطباعة: Stampa
11 ميدان سفنكس - المهندسين
تليفون: 3448824 - 3034408

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

هذه ترجمة لكتاب :

Marx

By: Rius

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel : 7352396 **Fax :** 7358084 **E.Mail:**asfour@onebox.com

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم كافة الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم المختلفة ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المقدمة

بقلم المترجم

أقدّم لك هذا الكتاب .. !

هذا هو الكتاب السادس فى سلسلة " أقدّم لك .. " وهو عن كارل ماركس، الذى يعالجه المؤلف بطريقة سهلة ومبسطة، عارضاً معه المذهب الماركسى كله: فى الفلسفة ، والاقتصاد، والتاريخ، والاجتماع .. الخ. وهو يعود بجذور المذهب المادى تحديداً إلى الفلسفة اليونانية، ليكون القارئ على بينة من التصور الماركسى لتاريخ الفلسفة، من طاليس حتى هيجل وتلامذته. هذا فضلاً عن اهتمامه بالمصادر الثلاثة الرئيسية للماركسية : الفلسفة الألمانية الكلاسيكية، والاقتصاد السياسى الانجليزى، والاشتراكية الفرنسية.

ويعرض المؤلف كذلك للأفكار الماركسية الأساسية : وسائل الانتاج، علاقات الانتاج، وتطورها عبر النظم المختلفة، وصراع الطبقات، ودكتاتورية البروليتاريا، ونظام الاقطاع، والبرجوازية، والرأسمالية، والاشتراكية، والشيوعية..الخ ـ بعد ذلك يختتم المؤلف كتابه بـ «معجم لأهم المصطلحات» من وجهة النظر الماركسية طبعاً..

ولنا عدة ملاحظات نسوقها سريعاً :

أولاً : الكتاب تمّ تأليفه قبل سقوط الاتحاد السوفيتى، وهذا واضح من عرض المؤلف الذى يتحدث كما لو أن الاتحاد السوفيتى مازال قائماً ..! وهى فرصة رائعة لنعرف شيئاً عن نبوءات ماركس التى يرى المؤلف أنها تحققت !!

ثانياً : على الرغم من ذلك ، لم نشأ أن نتدخل فيما يقوله المؤلف على أى نحو لا سيما أن الناشر الأصلى للكتاب (Icon Books) كان يعلم أن الكتاب كُتِبَ منذ فترة سابقة ـ ومع ذلك نشره كما هو فى مارس ١٩٩٩ .. !!

ثالثاً : الكتاب مكتوب من وجهة النظر الماركسية، ولهذا فقد نرى فيه استخداماً للمفاهيم والقضايا والمصطلحات ـ لا نوافق عليها ومع ذلك ـ تركناها كما هى لأن التعليق عليها ربما يحتاج إلى كتاب آخر ! ـ ومع ذلك فقد قمنا ـ فى حالات قليلة جداً ـ بالتعليق عندما وجدنا ضرورة لذلك.

رابعاً : مؤلف الكتاب هو «ادواردو دى ريو Eduardo de Rio» الشهير بريوس وهو من مواليد المكسيك عام ١٩٣٤ ـ ومن الطريف أنه ظل خمس سنوات (من ١٩٤٦ ـ ١٩٥١) يدرس اللاهوت فى «معهد سليزيا» الدينى لتخريج القساوسة ! لكنه ارتد عام ١٩٥٤ وتحول إلى رسم الكارتون فى الصحافة .. ونال جائزة الصحافة القومية بالمكسيك ثلاث مرات. ولقد قام هو نفسه بإعداد الرسوم والصور التوضيحية فى هذا الكتاب .. !

آمل أن أكون قد قدمتُ شيئاً جديداً إلى المكتبة العربية. وأسهمت فى المشروع القومى للترجمة بقدر متواضع !

والله نسأل أن يهدينا جميعًا سواء السبيل !

إمام عبد الفتاح إمام

مقدمة

بقلم المؤلف

ماذا..؟ هل تحاول تلخيص ماركس؟ ليس ذلك فقط تدنيساً للمقدسات (كما سيقول معظم الماركسيين «الأكاديميين») وإنما هو مضيعة للوقت تماما. لأن الرفيق كارل، من المفروض أنه يجاوز مستوى العقول البسيطة تماما.

ربما كان الأمر كذلك، وربما لم يكن. لكني كتبتُ هذا الكتاب على أية حال، على أساس المبدأ الذي يقول أن أسوأ أنواع المعارك هي المعركة التي لا يواجهها الإنسان، ولسبب آخر جعلني أقوم بهذه المهمة هو رغبتي أن أفهمه ـ وهو طموح لم أشبعه.

لقد كان ماركس ـ أيها السيدات والسادة ـ «رجلاً فظاً» حقاً، لكنه «عبقرية توتونية»[1] ارتفع بشموخ فوق كثير من المعارف العلمية في عصره. لقد استمر ينتج فلسفة فوق فلسفة دون أن يقلقه أن كثرة من الناس لن تفهمه. وكانت النتيجة؛ سلسلة كاملة من الأعمال عالية المستوى. وإنْ كانت حقاً مادة ثقيلة وشديدة الكثافة على القاريء العادي الذي سيقول أن ماركس من الصعب أن يُهضم!.

ويحاول هذا الكتاب أن يقدم «المختار» ـ أي ملخصاً لأفكار ماركس. شيئاً من السهل أن تعكف على قراءته مدركاً لحدودي (الدرجة الخامسة من الأولية) وسوف أكون سعيداً لو أن الكتاب لم يكن من الكتب التي يتعذر فهمها تماما.

أن ماركس نفسه لم يجعل مهمتي سهلة عندما نسى أن يكتب ملخصاً لمؤلفاته. بل أنني حتى لم أجد مساعدة من كل تلك المجلدات التي كتبها الباحثون الذين ادعوا أنهم يقومون بتوضيح ماركس لكنهم ينتهون إلى نتيجة أكثر صعوبة عن ذي قبل.

ومحاولة جعل ماركس «شعبياً» تثير مشكلة أخرى، أن محاولة وضعه في لغة الحياة اليومية تجعل المصطلحات الفلسفية والاقتصادية بدلاً من أن تكون ٢٠ أو ٣٠ مصطلحاً،

---

(١) التيتون Teutons شعب جرماني قديم (المترجم).

فإنها تصبح ٢٠٠ أو ٣٠٠!. ومحاولة ترجمة هذا العدد دون أن يفقد معناه سيكون عبثاً تافهاً في حقيقة الأمر. وإني لآمل أن يجد القاريء المتوسط الذي يسير خلال هذا الكتاب ـ الشجاعة لمواجهة الأعمال الكاملة لماركس، وأن يخرج منها وهو في حال أفضل مني أنا.

أنني أود كذلك أن أشكر إيضاحات المنظّرين الماركسين الذين كانوا يردون ـ كلما طلبت منهم المساعدة ـ قائلين بكل أدب: لابد أن يكون قد أصابك مس من جنون أن تفكر في القيام بمثل هذا العمل!. أنني أقدّر حقاً «روح التعاون» عندهم، وأعتذر أنني لم أعمل بنصيحتهم قبل أن أتعامل مع السيد الدكتور كارل ماركس.

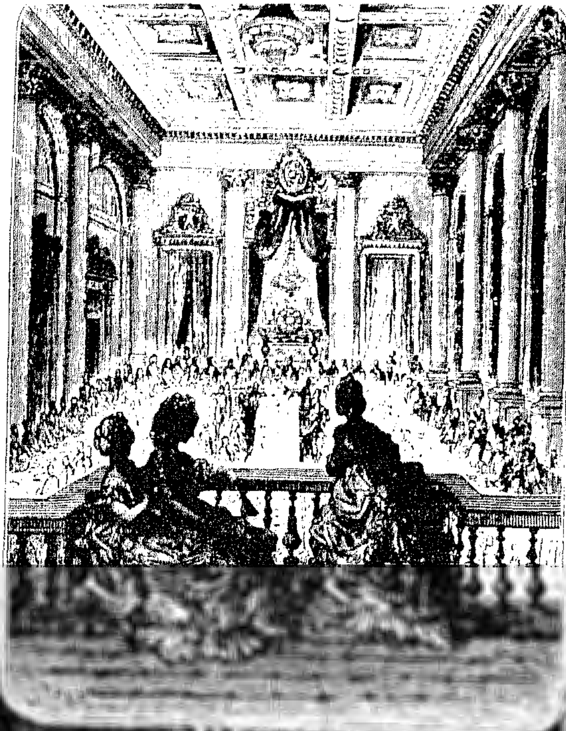
بعد هذه المقدمة إذا كنتَ لا تزال تريد أن تستمر في قراءة الكتاب ـ فلتكن على حذر! أن تقوم بهذه المخاطرة على مسئوليتك الخاصة، إذ أنني لن أتحمل مسئولية على الخسائر!

هناك عذر واحد لهذا الكتاب خفيف الوزن (إلى جانب عذر آخر هو جهلي) هو الضغط العنيد الملح من الناشر الذي لم يدع لي وقتاً لكتابته. أنني آسف لأن أرى أن جهودي لم «تتبلور» كما أردت لها.

أنه لأمر لا يُصدّق أن يعمل ماركس في ظروف أشد سوءاً وضغوطاً أكثر مما وقع عليّ، ومع ذلك استطاع أن يكتب كل هذه الآلاف من الصفحات دون حتى أن يفقد طريقه أو أن يفسد العمل.

غير أن ذلك يبرهن في النهاية على أن ماركس هو ماركس، وعلى أن ريوس... حسناً.. مجرد رجل مسكين!



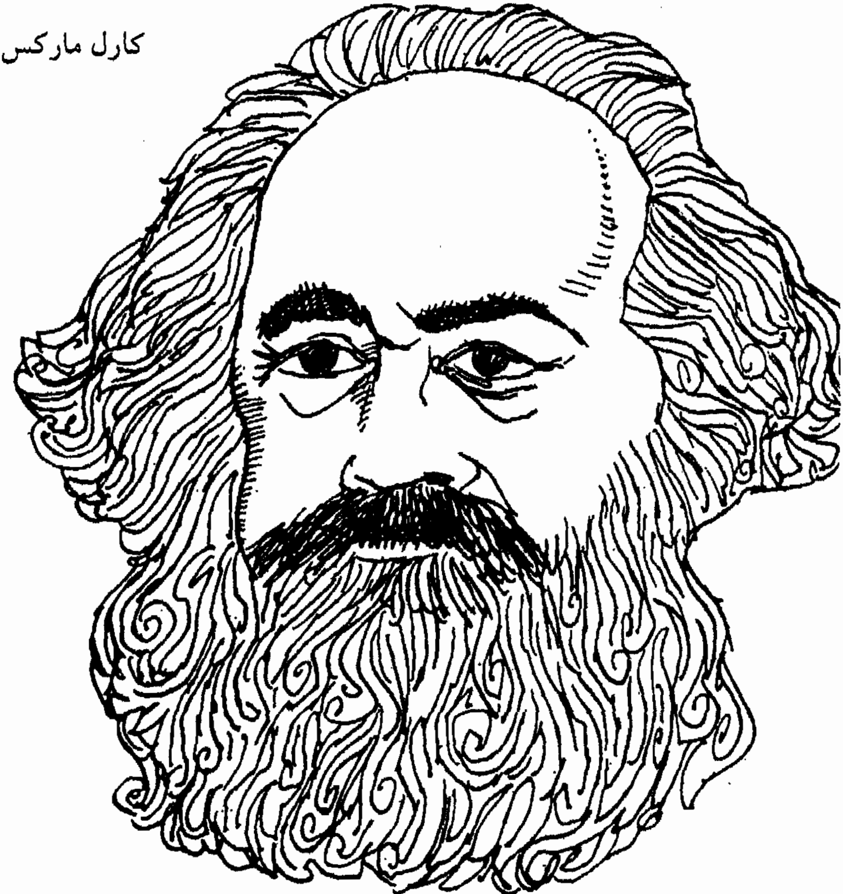




لندن أيام
كارل ماركس...



كارل ماركس



هيه ـ حقاً ـ ليس بالضبط!

---

(١) اخوان ماركس ثلاثة من الممثلين الكوميدين الأمريكيين المشهورين (المترجم).

تشارلز ماركس (أو كارل كما ينطقونها بالألمانية) هو فيلسوف يهودي ألماني، كافح من ١٨١٨ إلى ١٨٨٥ ولُعن في كل مكان في العالم لأنه ابتكر الشيوعية.



لقد تأسس على أفكاره وكتاباته ثلث الممارسات الشيوعية بين البشر. أما الثلثان الآخران فهما ما زالا يتجادلان حول هذه الأفكار والكتابات:



أينما ذهبت سوف تصادفك كلمات مثل: بلشفي، ماركسي، اشتراكية، لينينية، أحمر، مخلص، ماوي، مادي، شيوعي. وما إلى ذلك. وهي كلمات تضايق معظم الناس كلما احتكوا بها..



لدى مـــاركس شيء يقوله لكـل إنسان، ليس ثمة تغير رئيسي في المائة سنة الأخـيـرة لا يدين بشيء لتـأثير الرفـيق كارل..

الاقـتـصـاد، الأدب، الفـضـاء، الرحـلات، الـفنون، التـاريـخ، العلاقـات الإنسـانيـة، الفـاتيكان، الاتحـادات، الثـورات التـغـيـرات الاجـتمـاعيـة، التربيـة، الطـب، الصناعـة، الزراعة، الصحافة. في كل مكـان سـوف تجـد لمسـة أو لمسـتين من كارل!





والواقع أن الماركسية اليـوم تقسّم العالم إلى مـعسكـرين: أولئك الذين يكرهـونهـا، ثم أولئك الذين يضعون كل آمالهم فيها..



ولما كـان كارل مـاركس أشـبه بالكتـاب المقدس فأن كـثيرين يقتـبسون منه، لكن قلّة قليلـة هم الذين يعـرفـونه، وأقلّ من هؤلاء مَنْ يفهمونه (أو الأفضل.. يقفون على حقيقته..).

المعرفة ـ والتطبيق ـ لأفكاره أصبحت الآن ممكنة، وهي التي ليست ممكنة للقرن العشرين: التحرر من استغلال الإنسان للإنسان.

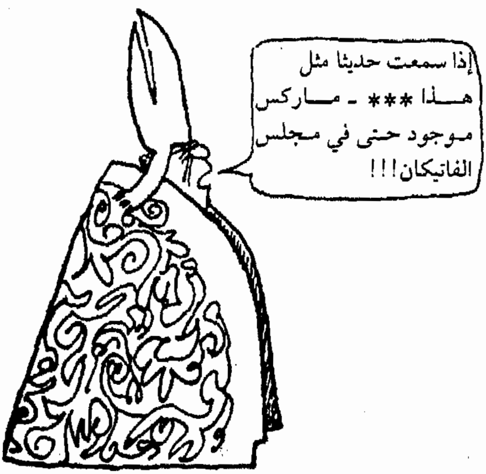
(الضمان الاجتماعي، المعاش، الاجازات مدفوعة الأجر، الاتحادات المنح الدراسية وغيرها من الانتصارات الكثيرة تعود إلى ماركس!).



باختصار: لو أننا أصبحنا أفضل بأي معنى، فأن ذلك يرجع إلى ماركس بصفة خاصة!



أتُهم قساوسة العمال بأنهم ماركسيون كما تحدث عنه جنرالات أمريكا الجنوبية. وتمَّ تدريسه في مدارس اليسوعيين وفر آخرون إلى «كوبا» عندما أعلنت أنها أول دولة ماركسية في أمريكا اللاتينية.. لكننا ما زلنا نسمع مَنْ يقول ليس هناك اهتمام بماركس!





كان والده محامياً ثرياً، سمح لابنه الشاب كارل أن يدرس ما هو شائع ثم بعد ذلك: القانون!





ومن بون ذهب إلى برلين لاستكمال دراسته، ثم عاد إلى بون ليحاول التدريس، غير أن سمعته السيئة لم تفتح له أي باب: ثم عاد إلى برلين ملحداً ومخرباً.

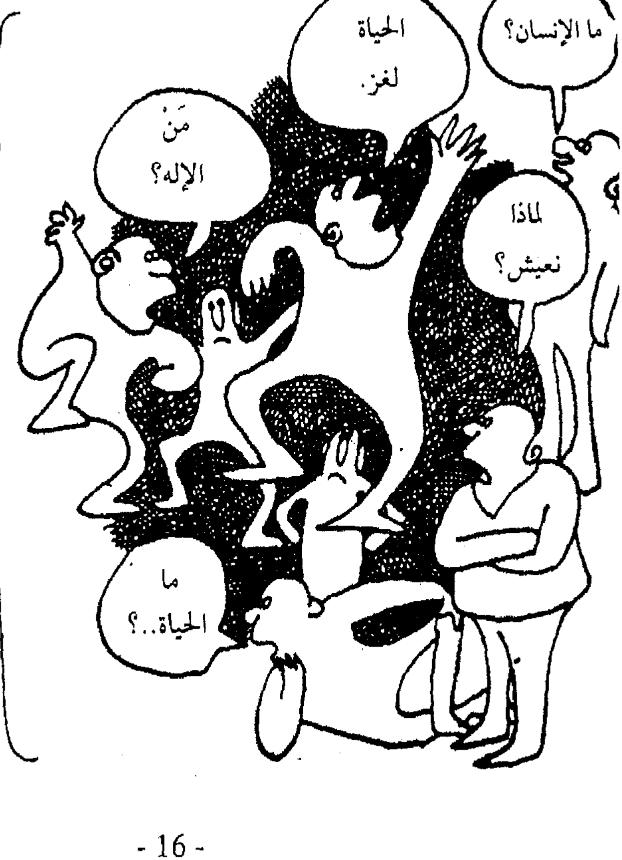


لقد كان مجتمعه، بالكاد، يتحمل الفنانين ولك أن تتخيل ما الذي يفعله بالمخربين!!!

من المهم أن نوضح عند هذه النقطة بعض التفصيلات حول حياة ماركس: على الرغم من أن أصوله يهودية. فأنه لم يعتبر نفسه يهودياً أو حتى ممارساً لهذه الديانة في أي وقت. وقد تحول والده إلى البروتستانتية وكان ماركس نفسه واحداً منهم لكن في شبابه فقط..



كانت جامعة برلين تموج بالأفكار بطريقة رائعة، وكذلك بالتفسيرات الدينية للإنسان والكون وفي تحدي، مما جعل المفكرين يبحثون عن اجابات آخرى عن الأسئلة الأزلية للجنس البشري.





وكي يجيب عن هذا السؤال الشائك قرر ماركس أن يدرس الفلسفة.



غضب والده، إذ كان قلقاً على مستقبل ابنه ...





كان هناك رجل يدعي فردريك هيجل، يبدو أنه عثر على اجابات للأسئلة الأزلية. وانجذب نحوه الفلاسفة الألمان، بعضهم يعارضه، وبعضهم يؤيد نظرياته.. وبدأ ماركس يدرس أفكار هيجل.
هذا الفيلسوف العظيم بالغ السوء لقد مات بالفعل.. وأسفاه!.

لقد كان امانويل كـانط (السلف العظيم لهيجل) يقول أنك تستطيع أن تفـترض وجود الله، لكن ليس هناك مـذهب فلسفي يستطيع البرهنة عليـه. أما هيـجل فقـد سعى ـ على العكس ـ إلى تبـرير فكرة الله ... كيف..؟ اقـترح هيجل مـذهباً يذهب إلى شمـول العقل **Panlogism** (من المقطع اليـوناني **Paon** كل، شامل والمقطع لوجوس **Logos** أي العقل).

(ملحوظة: هناك معجم للمصطلحات في نهاية الكتاب يفسر المصطلحات الغامضة).





إلى جـانـب ذلك، فأن هيـجل لـم يكن يؤمن بـخلود النفس، لكن اضطهـدته الكنيـسة والدولة (وكـانا حليفين في ذلك الوقت) ولقد اضـطر إلى الاستـسلام قليلاً، ولـم يسـمح لأفكاره أن تنتشر بين الناس. وكانت أفكـاره ـ كما يقـول ـ «ليـسـت شـيئـاً آخر سوى الفلـسفة»، وأن من الضـروري أن يظل الناس يتبعون الديانة التي ألفوها ...



ولكن الواقع أن فلسفة التاريخ عند هيجل هي التي جذبت ماركس" وعند هيجل أن البشـرية لا تتقدم إلا بسـبب الصراعـات والحروب والثورات ـ أي من خـلال صراع المقهورين ضد القاهرين».

ولقد اعتاد أن يقول أن السلام والانسجام لم يُخلقا لصنع التقدم.



لودفيج فويرباخ أحد المؤيدين لليسار الهيجلي أراد أن يختبر نظرية هيجل ويضعها في محك العمل. فأنكر الأصل «المقدس» للسلطة الملكية..

وكان ماركس يؤيده ١٠٠ ٪.



وسرعان ما تفوق التلميذ على معلمه: فأصبح ماركس أكثر راديكالية، وأشد الهيجليين يسارية، فقد كان ماركس من النوع النشط، لا من النوع الذي يحب الهذر والثرثرة.

لم يتحدث هيجل عن الصراع الاجتماعي، لكنه تحدث فحسب عن الصراع الديني[1]. فهو لم يكن يفكر في الصراع بين العمال وأصحاب العمل أو بين الشعوب المقهورة والحكومات القاهرة، وإنما الصراع الروحي الخالص: «الصراع» بين الأفكار.



عندما مات هيجل أدت تناقضاته إلى انقسام أتباعه إلى اليمن اليهجلي، و «اليسار الهيجلي» ولقد دافع اليسار عن معظم الأفكار التقدمية، في حين دافع اليمين عن أفكار هيجل الروحية، والمحافظة.



(١) الصراع الأساسي عند هيجل هو الصراع من أجل الاعتراف بآدمية الإنسان وهو يكون بين السيد والعبد الذي يفسر لنا «كيف ظهر الرق في التاريخ» (المترجم).

كان لماركس تأثير قوي على هيئة التحرير حتى أنه سرعان ما أصبح رئيساً للتحرير، واكتسبت المجلة تحت رئاسته مكانة هامة... لدرجة أن الحكومة قررت اغلاقها!



كانت الصحافة السياسية مفيدة لماركس فقد استخدم الجريدة لنشر الأفكار، ونقد الحكومة السيئة، وليترك الرأي العام في حالة مرعبة من البؤس...



لقد حاول ماركس أن يضع موضع التطبيق (وفي قلوب الناس المتواضعين) الأفكار التي يتحدث عنها مقهى الفلاسفة فحسب. ولقد ابتكر ماركس تقارير وثائقية مع مقالاته عن الفلاحين في منطقة الموزيل **Moselle**..

ضاع الهيجليون وسط مناقشات فلسفية ولاهوتية لدرجة أن اجتماعاتهم كثيراً ما كانت تنفض مع كثير من الدخان وقليل من النار! وحتى يتجنب الإصابة بالاضطراب العصبي قرر ماركس أن يقبل وظيفة في «مجلة الراين» وكان ذلك عام ١٨٤٢.



نعم! حتى كارل كانت له مشاعر! ففي سن مبكرة من عمره ـ الثامنة عشر ـ خطب فتاة صغيرة هي «جيني فون فستفالين» ـ كانت فتاة جميلة غنية منحدرة من أسرة بروسية أرستقراطية. (كان شقيقها الأكبر وزيراً للداخلية في نفس الفترة الرجعية (١٨٥٠ ـ ١٨٥٥). أما والدها فقد كان مستشاراً للدولة، شجع ماركس على قراءة الشعر اليوناني، وقراءة شكسبير.



لم يكن لدى ماركس مال، أو عمل فكيف سيلبي مطالب جيني الجميلة؟ لقد كان والدها قلقاً على مستقبلها بطريقة جادة.

في عام ١٨٤٣ أخذ ماركس جيني إلى باريس، وهناك قَبِلَ أن يكون محرراً مساعداً لمجلة دورية مع آرنولد روجه A. Ruge (وهو من اليسار الهيجلي وسجن من ١٨٢٥ حتى ١٨٣٠، ثم أصبح بسماركياً بعد عام ١٨٦٦).



تزوج في ١٢ يونيو ١٨٤٣.

وما هو أسوأ من ذلك أنها كانت توزع سراً، سببت له العديد من المشاكل. فضلاً عن أنه لم يكن على وفاق مع رئيس التحرير «روجه» الذي لم يكن ماركس يشاركه أفكاره والذي كان يقول عن ماركس «أنه في الواقع يحمل رأس بغل!».



عمل ماركس في باريس على إصدار المجلة التي كانت تسمى «الحوليات الفرنسية ـ الألمانية».

لماذا؟ لأن ماركس في باريس قد نما حتى بطريقة أكثر جذرية كنتيجة مباشرة باحتكاكه بالأفكار الفرنسية: (بلانك، برودوون، ليرو) والفوضويين الروس: بوتكن، وباكونين...

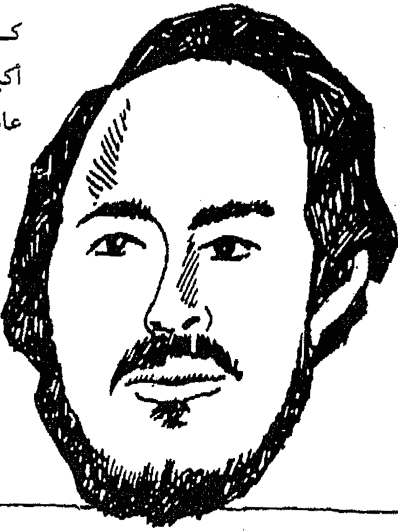
(وفي هذه الأثناء بدأ يدرس النظريات الاقتصادية لعصر التنوير: آدم سميث وريكاردو).



برودون:
فيلسوف فرنسي.



كـان لصداقـة ماركس لزمـيـل ألماني هو فـردريك انجلز أكبر الأثر عليـه. التقيا في «الحـوليات» وهي في ذروتها عام ١٨٤٤ .

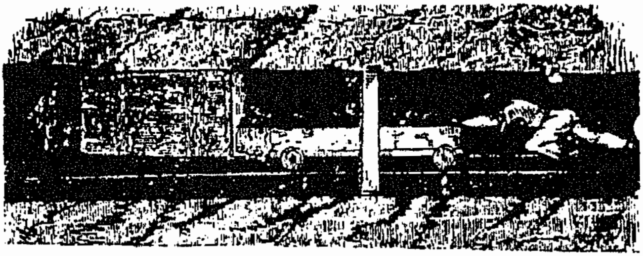


من هـو انجلـز... ؟

(١٨٢٠ ـ ١٨٩٥)

ابن صاحب مصنع نسيج ثري، ترك بروسيا عام ١٨٤٢ ليـعمل كوكيل أعمال لوالده في فرع مانشستر، كـان انجلز من اليسار الهيجلي القلق. غير أن أول اتصال له بالطبـقة العاملة اليائسة أثر فيه بعمق.







ولقد ترك الفنانون في ذلك العصر، الكثير من الشواهد على الاستغلال المرعب الذي كانت تعاني منه الطبقة العاملة الإنجليزية.

بسبب حجمها الصغير (وضآلة أجور هذه الطبقة)

كان يتم استغلال الأطفال في المناجم وغيرها من الصناعة بواسطة أصحاب عمل لاإنسانية عندهم.

الوغد!!



كتب انجلز عام ١٨٤٥ «أوضاع الطبقة العاملة في انجلترا». ولقد اندهش ماركس بقوة من مقال في الاقتصاد كتبه انجلز «للحوليات». فأصبحا صديقين وقررا أن يعملا معاً.





وهكذا لم يكن ماركس محبوباً من الحكومة البروسية التي حرّضت فرنسا لطرده عام ١٨٤٥. فانتقل إلى بروكسل، ولكنه طرد منها من جديد.

وخلال ثورة عام ١٩٤٨، عاد إلى ألمانيا وأصدر «مجلة الراين الجديدة» بالاشتراك مع انجلز (الذي كان يحارب في ثلاث معارك) اتهم ماركس على التحريض على التمرد المسلح، لكن برأته المحكمة في كولونيا.

العمر : ٣٠
الحال المالية؟ عمل يائس؟
لا أحد يدفع..



مايو ١٨٤٩ ماركس يُطرد بوصفه شخصاً ضد الدولة بالتالي شخصاً «لا وطن له». «مواطن عالمي» - ماركس يبدأ فترة المنفى في انجلترا.



قبل أن يبحثا عن ملجأ في انجلترا، قام ماركس وانجلز بدور في الجماعة السرية التي تسمى «عصبة الشيوعيين» وقد كلفتهما بصياغة البيان الذي اشتهر باسم:

البيان الشيوعي

هناك شبح يجول في أوربا ـ هو شبح الشيوعية. وقد اتحدت كل قوى أوربا العجوز لملاحقته والتضييق عليه: من البابا والقيصر إلى مترنخ، وجيزو، ومن الراديكالية في فرنسا إلى رجال الشرطة في ألمانيا.

وهل هناك حزب معارض لم يتهمه خصومه القابضون على زمام السلطة بالشيوعية؟ وهل هناك حزب معارض لم يلصق بدوره تهمة الشيوعية سواء بأقسام المعارضة التي هي أكثر منه تقدما، أو بخصومه الرجعيين؟!



في البداية لم يكن لها كبير أثر. لكن فيما بعد، بدأت شيئاً فشيئاً تسبب للعالم قلقاً حقيقياً واسعاً. وتحول نشر «البيان الشيوعي» لأن يكون أكثر الأحداث أهمية في التاريخ البشري.



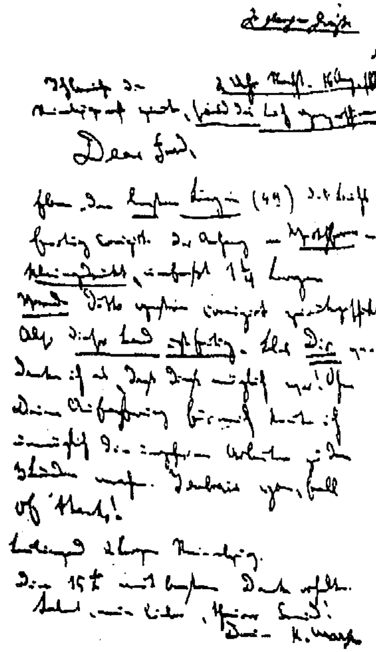
وهكذا بدأ ما هو أكثر من ذلك. لكن فيما بعد.

بقى ماركس في لندن بقية حياته في فقر مدقع. (مات ثلاثة من أطفاله بسبب نقص الدواء) مستمراً في تأليف الكتب الثورية والمقالات في الصحف التي تقبل نشرها..



ساعده انجلز، وكثيراً ما كان يمده بالمال، والميراث الضئيل الذي تلقاه بعد وفاة حماه ذهب لسداد الديون. وكانت هناك وظيفة في مكتب السكك الحديدية، لكنه رفض بسبب رداءة خطه الفظيعة!

(احكم بنفسك!)





لم يحصل ماركس أبداً على دخل مستقر أو عمل دائم أو حساب في البنك، لكن ما لم يستطع أن يكسبه لأسرته، ربحه للملايين الآخرين من خلال كتاباته!

لا تتخيل أن الجمهور رحب بأفـكار ماركس واستقبلها بحـماس هائل: بل على الـعكس لم يكن أحد يعـرف ماركس خارج الدائرة الضيقـة للمثقفين الألمان وبعض المثقفين الآخرين.

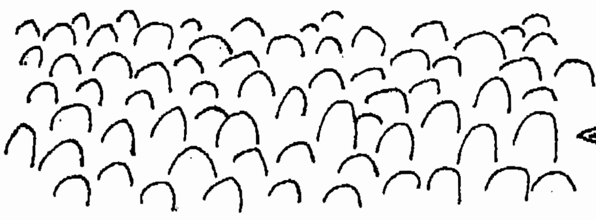


لم يكن لأفكار ماركس الاقـتصادية تأثير مـباشر على المناقشـة داخل الحركة العمالية أو على غيره من المفكرين إلا بعد وفاته (١٨٨٣) ويصدق ذلك على نظريات عن القيـمـة، وفـائض القيـمة، والتـراكم، والاسـتقـلال، والافـقـار الشديد، والأزمـة والاستيلاء أو وضع اليـد، صراع الطبقـات والثورة. ولكن مع نهـايـة القـرن نوقـشت بعـض هذه النظريات بحـرارة داخـل الحـركـات العمالية. بينما قبلها آخرون بالتدريج على أنها صحيحة صحة مطلقة.

كان عـدد الكتب والمقالات الذي نُشـر له ضئـيلاً جـداً، فأسلوب الرفـيق ماركس لم يكن واضـحاً بشكل مرعب، ومن ثم فقلّة كانوا قادرين على فهم واستيعاب أفكاره المعقدة.



والواقع أنه في عام ١٩١٧ ـ مع انتصار لنين في روسـيا، بدأ الناس في العـالم يسمعـون عن كتب ماركس ويدرسونها ويناقشونها.



ويضعها ملايين الناس موضع التطبيق.

ليس العمل سهلاً في حالة البؤس، ولقد أصبحت أسرة ماركس المؤلفة من ستة أفراد أكثر بروتارية في طابعها ابان تلك السنوات في لندن. لم يكن ماركس يستطيع الخروج في بعض الأحيان لأن ملابسه موجودة في محل الرهونات. حتى الورق الذي يكتب عليه لم يكن موجوداً، وكذلك ضرورات الحياة لأسرته. وخلال الفترة التي عاشها في «دين ستريت» ولدت له طفلة هي «فرانشيسكا».. ماتت بعد سنة!

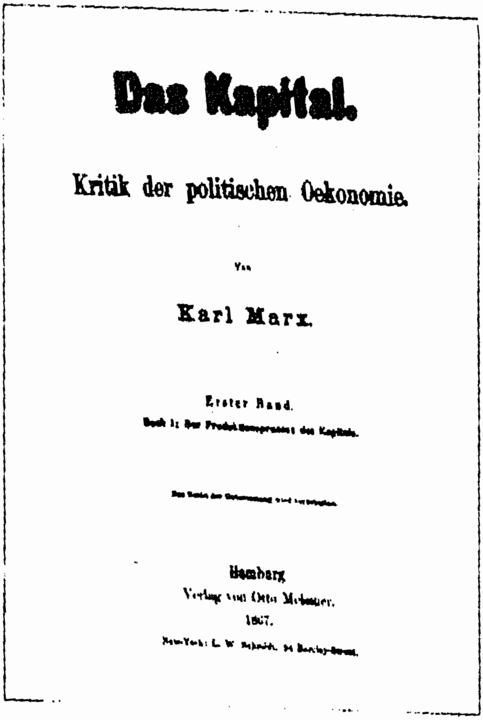
ولقد وصفت زوجته الأيام الصعبة في خطاب إلى صديق قالت: «أطفالنا الثلاثة يرقدون على الأرض ونحن جميعاً نبكي الملاك الصغير الذي كان جسده بلا حياة ـ والموجود في الغرفة المجاورة. ولقد حدثت وفاة طفلتنا المحبوبة ونحن في حالة عوز شديد، وأصدقاؤنا الألمان عجزوا عندئذ عن مساعدتنا. وهرولت ـ والأسى في قلبي إلى مهاجر فرنسي يسكن ليس بعيداً عنا، واعتاد أن يحضر لزيارتنا، ورجوته أن يساعدنا للضرورة الملحة. فأعطاني في الحال جنيهين بتعاطف أخوي عميق. وقد استخدمت هذا المال في شراء كفن ترقد فيه طفلتي الآن في سلام. لم يكن لها مهد عندما جاءت إلى الدنيا، ولفترة طويلة ظلت ترقض أن يكون لها مقام أخير مريح.



ظل مـاركس ـ خلال الخـمس والعشـرين سنة الأخيرة من عمره يعـمل في أضخم كتبه وهو كتابه الرئيسي:

"رأس المال"

الذي لم يتمكن من الانتهاء منه فهو لم ينته تماماً إلا من المجلدات الثلاثة الأولى التي كان قد خطط لها. أمـا الاثنان الآخران فقد نُظما وانتهيا طبقاً لمذكرات ماركس وانجلز. فقد كـانت سنوات ماركس الأخيرة مليئة بالمرض وآفات الشيخوخة.



Das Kapital.

Kritik der politischen Oekonomie.

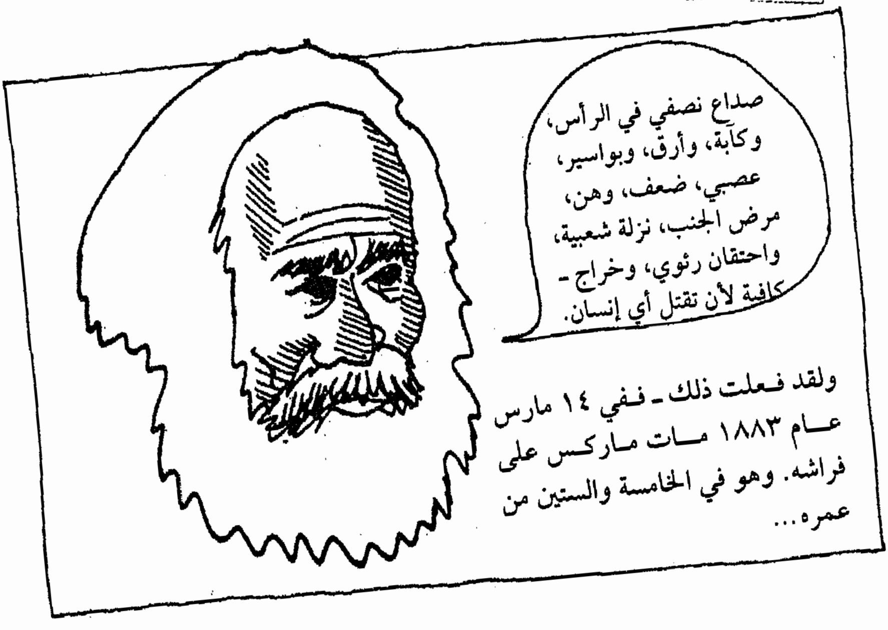
Karl Marx.

Erster Band.

Hamburg

Verlag von Otto Meissner.

1867.



بالإضافة إلى مئات المقالات فقد كتب للصحف الألمانية والإنجليزية والفرنسية والأمريكية ـ كتب ماركس:

عام ١٨٤١ «في الفرق بين فلسفة ديمقريطس الطبيعية وفلسفة أبيقور».



عام ١٨٤٤ «حول المسألة اليهودية».

ـ «نقد فلسفة الحق لهيجل».

ـ «المخطوطات الاقتصادية والفلسفية».

عام ١٨٤٥ «العائلة المقدسة».

عام ١٨٤٦ «الأيديولوجية الألمانية».

عام ١٨٤٧ «بؤس الفلسفة».

عام ١٨٤٨ «البيان الشيوعي».

عام ١٨٥٠ «صراع الطبقات في فرنسا».

عام ١٨٥٢ «١٨ برومبير انقلاب لويس بونابرت».



عام ١٨٥٣ «كشف الستار عن المحاكمة الشيوعية في كولون».

عام ١٨٥٩ «مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي».

عام ١٨٦٥ «مساهمة في الأجور والأسعار والربح:».

عام ١٨٧١ «الحرب الأهلية في فرنسا».

١٨٦٧

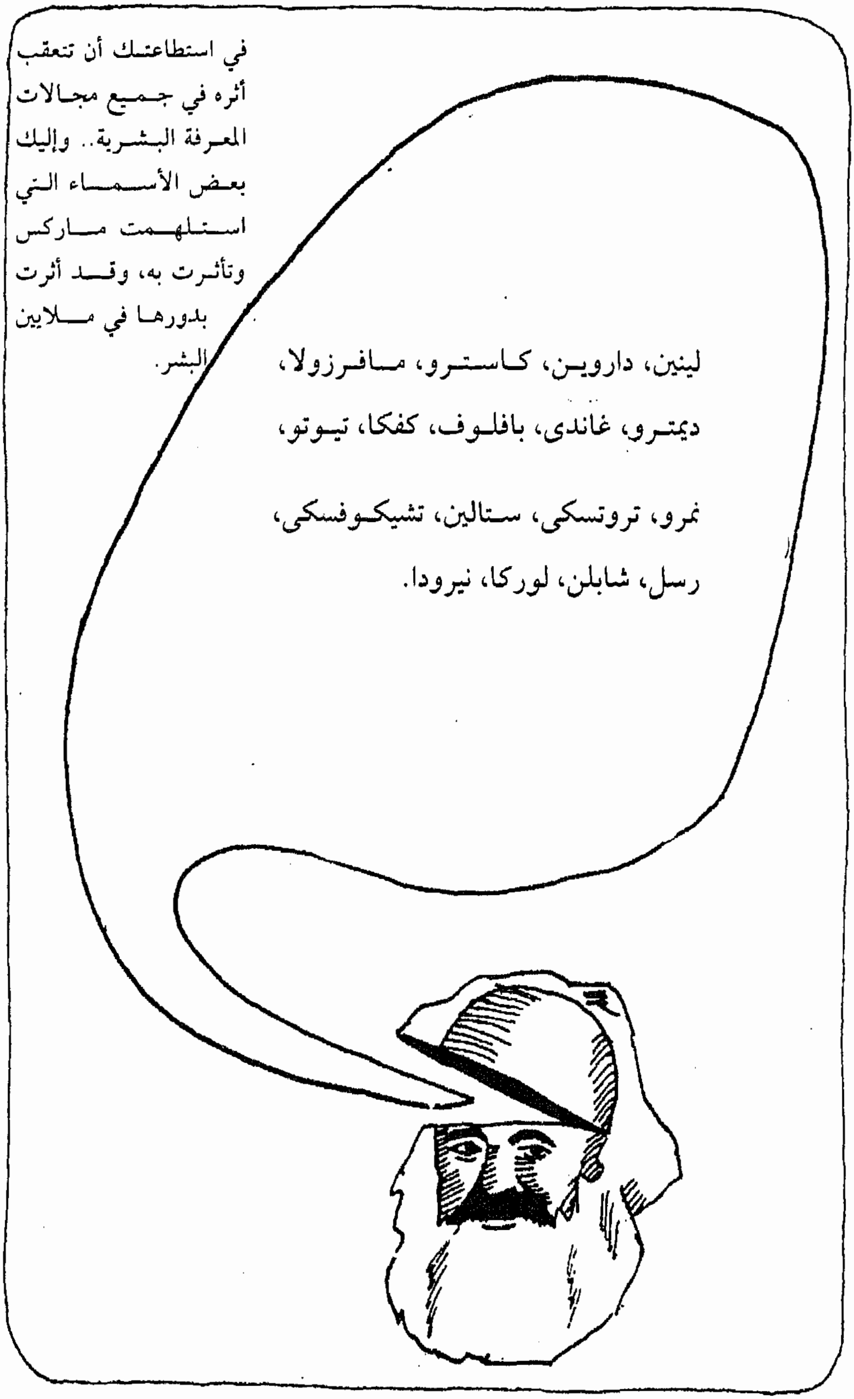
١٨٨٥ رأس المال: المجلد الأول، والثاني، والثالث.

١٨٩٥

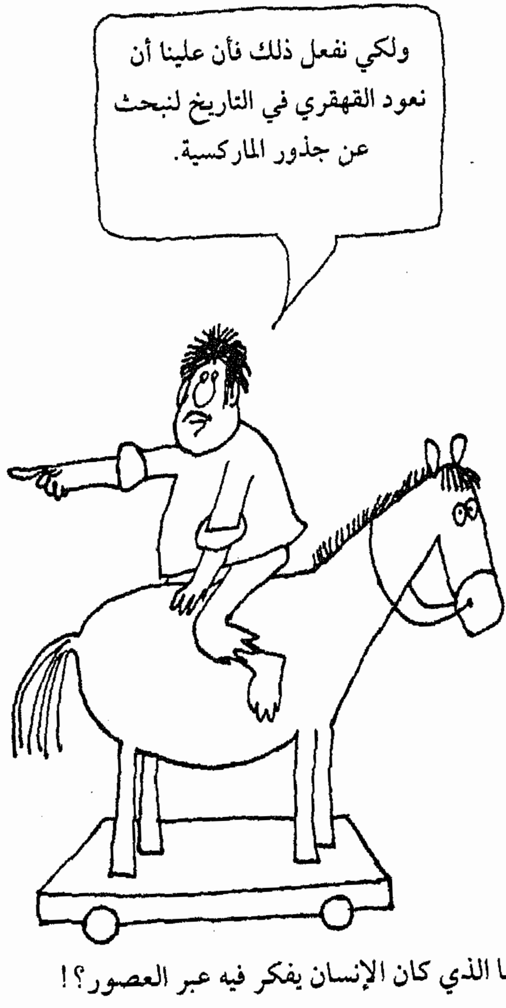
كل حركة اشتراكية في المائة سنة الأخيرة قد تأثرت بماركس (كوبا، شيلي، المكسيك، فيتنام، كوريا، قبرص، المجر، تشكسلوفاكيا، أندونسيا، بولنده، التبت، بوليفيا، جواتيمالا، الكونغو، ألبانيا، اليونان، أنجولا، ألمانيا الشرقية ... الخ.



اعتبرت مؤلفات ماركس انجيل الطبقة العاملة. ومع ذلك فمن العجيب أن قلّة من الطبقة العاملة هي التي فهمت ما كتب لأن معظم ما كتب مجرّد وصعب صعوبة الرياضيات، لكنه غيَّر العالم بالفعل.


في استطاعتك أن تتعقب أثره في جميع مجالات المعرفة البشرية.. وإليك بعض الأسماء التي استلهمت ماركس وتأثرت به، وقد أثرت بدورها في ملايين البشر.
لينين، داروين، كاسترو، مافرزولا، ديمترو، غاندى، بافلوف، كفكا، تيوتو، نمرو، تروتسكى، ستالين، تشيكوفسكى، رسل، شابلن، لوركا، نيرودا.

وبعد سيرة حياة الرجل هذه القصيرة، دعنا نواصل السير لنرى ما الذي فعلته الماركسية، وما الذي فعله ماركس بنشاط ليسهم في تقدم البشرية: كرهته أم أحبته.

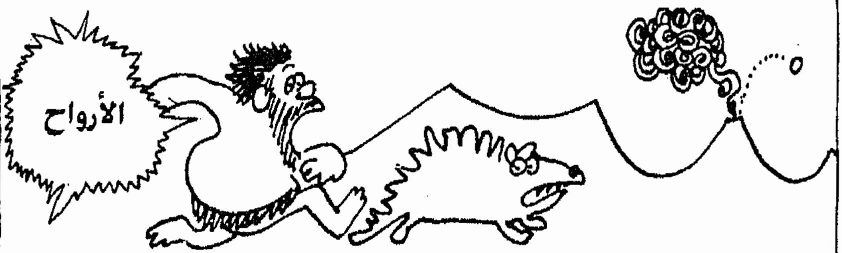


ما الذي كان الإنسان يفكر فيه عبر العصور؟!

لا نستطيع أن نخمن ما الذي كان يفكر فيه الناس ما لم يعبروا عنه.. وأقل من ذلك إذا لم تكن لديهم وسيلة لتدوين ما قالوه..



في البدء سيطر الخوف والجهل، لأن الناس لم تعرف معنى الأشياء، وفي وقت مبكر كان الناس يخشون أي شيء متحرك، وكانت أفكارهم الأولى تدور حول ما فوق الطبيعة، إله للمطر، وإله للنار، وإله للأرض، وإله للشمس، وآلهة للخصوبة، وإله للصيد ... الخ.



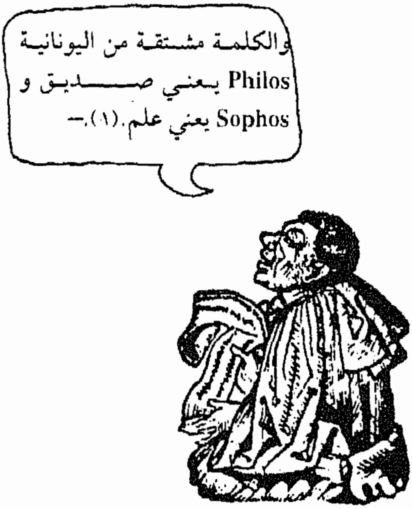
وهذا هو السبب في أن البشر اخترعوا الآلهة لكي يفسروا ظواهر الطبيعة، إله للمطر، وإله للنار، وإله للأرض، وإله للشمس، وآلهة للخصوبة، وإله للصيد... الخ.



وحتى في هذه الظروف بدأ البعض يستخدمون عقولهم بحثاً عن تفسيرات منطقية لظواهر الطبيعة وهؤلاء هم: «المفكرون»!



بدأت الفلسفة كنقد للمعتقدات الدينية. وعن طريق البحث عن مبررات منطقية لأشياء الطبيعة، اخترع البشر علم الفلسفة...



ومن هنا خرج السحرة والمشعوذون، واستغلوا فكرة «الألوهية» لمنفعتهم الخاصة.

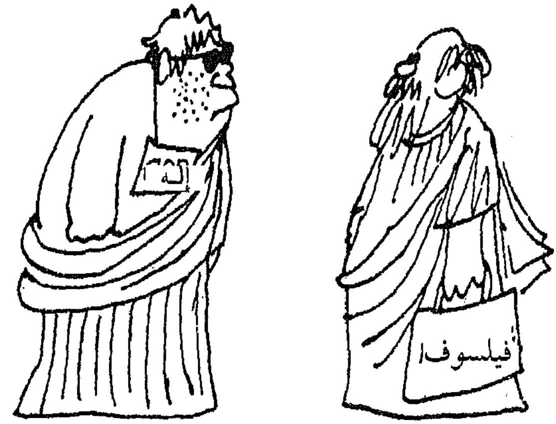
وعن طريق استخدام جميع الحيل الرخيصة، نصبوا أنفسهم «مندوبين» عن الآلهة وأصحاب قوى خارقة!



وتلك هي الطريقة التي بدأت تظهر بها طبقة «عليا» ـ أو طبقة حاكمة أو مسيطرة وطبقة دنيا أو محكومة أو أولئك الذين سمحوا لأنفسهم أن يُستغلوا، وأولئك الذين قادوا الحمقى رغم أنوفهم (وتجنبوا العمل).

(١) في هذا التفسير الكثيرمن التجاوز فالمقطع الأول يعني حب أو محبة والثاني يعني حكمة فالفلسفة تعني حب الحكمة أو محبة الحكمة (المترجم).

وهكذا نشـأ معسكران مـا زالا قائمين حـتى يومنا الراهن: الدين من ناحيـة، والعلم من ناحية أخرى.



أحد الفلاسـفة الأوائل الذين نسمع عنهم فيلسـوف يوناني اسمه اكسينوفـان من كولوفون رفض أن يعبد الأصنام قائلاً:

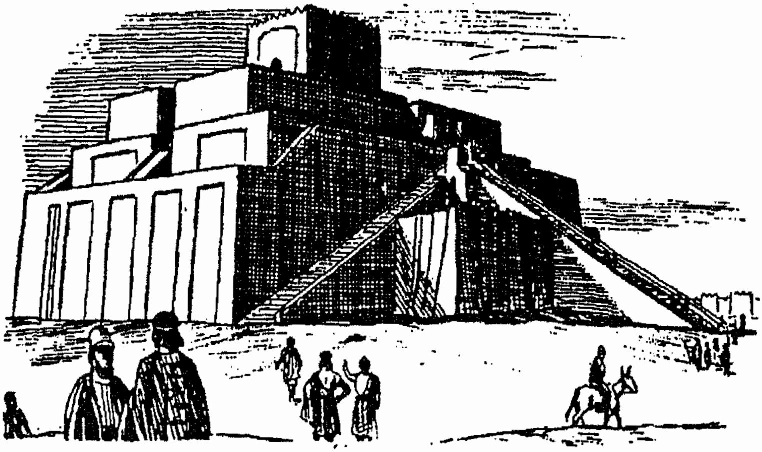
«لو أن البقـر والخيل والأسـود كانت لها أياد تستطيع أن ترسم بها وتصنع آثاراً فنيـة كـالبشـر، لنقـشت الخيل الآلهة في هيـئة خيل، وكذلك البـقر، وجعلت أبدانها على صـورة أنواعها المعتادة..».



وبدأت أفكار اكسينوفـان تنتشر غير أن الطبقـة الحاكمة لم تكن تحتمل السـخرية من وجود الآلهة أو الشك فيها فهي التي تدعم مزاعمها «المقدسة والمشروعة» عن السلطة..

ومع ذلك فقد كان هناك كثيرون ممن يصغون إليه...

ومع مرور الزمن ونشأة المنافع أكملت الطبقة الحاكمة ديانتـها وأضافت آلهة أكثر، وكثرة من الأساطير، ومن الطقوس والشعائر، وأنشئت المعابد لكي تعبد فيها الآلهة والآلهات! مما يعني في العادة «تبرعات» من المال، أو أشياء أخرى يمكن أن تدفع حتى تجذب «رضا الآلهة».



وفي الوقت ذاته ظهرت «الطبقة المقدسة» التي جعلت من نفسها طبقة أعلى هي «الكهنوت» ، وكانت قوتهـا عظيمة حتى أنها ـ مع الملوك والفـراعنة، أنشأت امبراطوريات هائلة من العـبيد المخلصين عن طريق إرادة «آلهة عليا»..

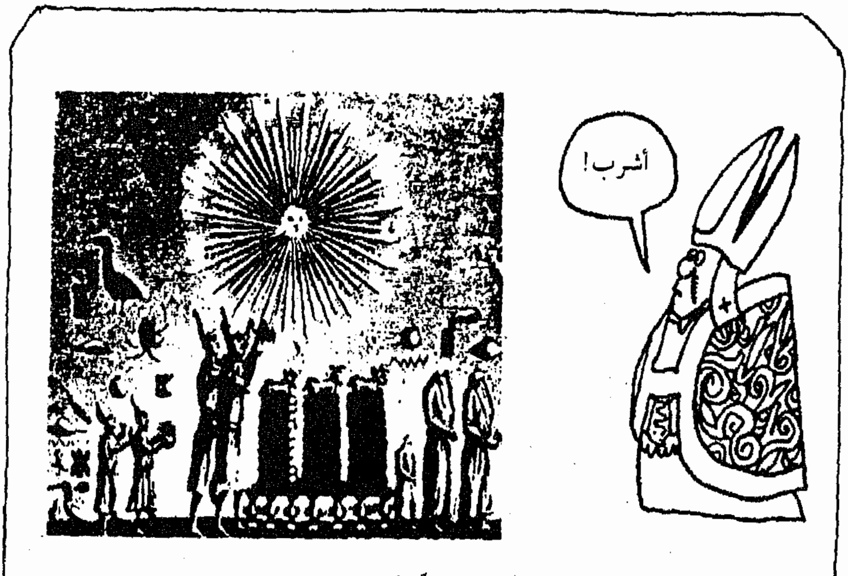


وسارت المسـألة شـوطاً بعـيـداً حـتى أن الملوك أنفـــــــهم أرادوا أن يُعبدوا على أنهم آلهة.

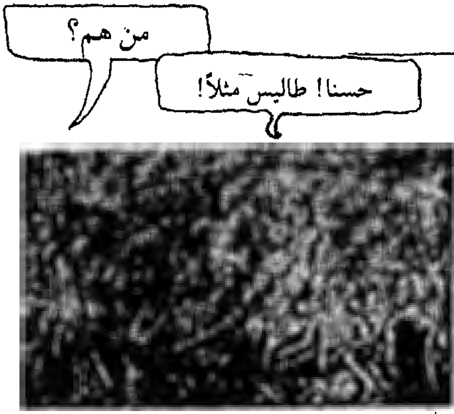
الدولة هي التي تقرر ما هي الآلهة التي يمكن أن تعبد أو لا تعبد.



الناس خلقهم أوزوريس ولابد لهم أن يطيعوا إرادته على الأرض. ولابد لهم أن يرفضوا الرق والعبودية على أمل أنهم لو سلكوا سلوكاً جيداً حسناً، فسوف تنتظرهم حياة أخرى أفضل من هذه الحياة، في العالم الآخر ـ فلا عبودية بعد ذلك بل سعادة أبدية.



أصوات مألوفة جداً، أليس كذلك؟!

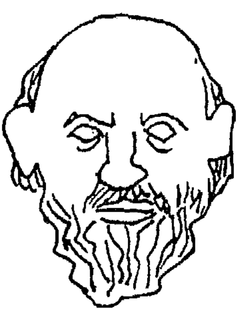


غيـر أن العـالم لـم يحـرم تماما من رجـال (لا يهم عـددهم القلـيل) اسـتطاعـوا مقـاومـة هذا الايمان الأعـمى، وفـضلوا أن يصـلوا إلى نتائـجهم بأنفسهم: معـتمـدين على العلـم.

طـالـيـس...



الملطي اعـتبـر أبا للفلسفـة. عـاش في القرن الرابع قـبل الميـلاد وكرس نفسـه لعلم الفلك والبـحث العلمي في الطبيعة[1].



فيثاغورس



هناك فيلسـوف آخر بلحيـة هو أب الرياضـيات انتـهى إلى أن العـدد هو أصل الأشياء جميعاً ومن ثم فالحياة...

(١) الصحيح أن طاليس عـاش في القرن السادس قبل الميلاد. وأنه اعـتبر فيلسوفاً لا لبـحوثه الفلكية وإنما لأنه رد العالم كله إلى مبدأ واحد هو الماء! (المترجم).

كان فيثاغورس وأتباعه (أسس جماعة خاصة حرَّمت أكل الفول..!) أول مَنْ أعلن أن الأرض ليست في مركز الكون...





ولهذا السبب اضطهدوا وتبعثرت الجماعة الفيثاغورية على يد المتعصبين الدينيين..!

ثم جاء..

هيراقليطس

الذي كان كثيراً ما يُعدّ أباً للجدل أو الديالكتيك..

كان هيراقليطس فيلسوفاً ملحداً، اعتاد أن يقول أن كل شيء موجود وغير موجود في وقت واحد... وأن كل شيء في حالة حركة وفي تدفق دائم، فهو على الدوام يظهر ويختفي...

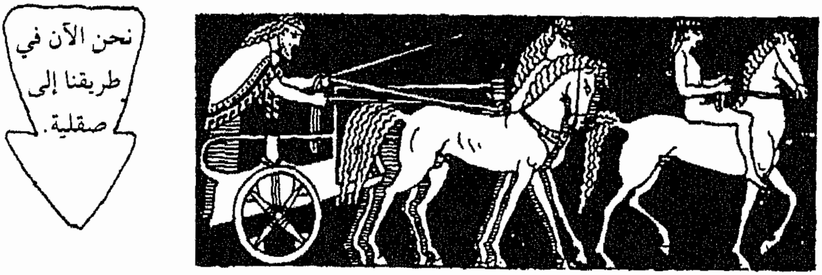




آه! أيها الثعلب العجوز!

في أغلب الأحيان يضطهد هؤلاء المفكرين وتكون نهايتهم سيئة. رغم أن العلم كان متخلفاً جداً ولم يحن الوقت بعد لاختبار «النظريات الإلحادية» الجديدة.





في أجريجنتم اعتاد امبادقليس ـ فيلسوف آخر ـ أن يقول أن البشر في زمن غابر انحدروا من الآلهة! لكن قُذف بهم إلى الأرض لأنهم أشرار وغير أنقياء..



كما كان يعتقد أيضاً أن كل شيء يتألف من: النار، والهواء، والتراب والماء. وهي نظرية ظلت صادقة في العصور الوسطى.

وهو يقول أن هذه العناصر الأربعة تتأثر بقوتين هما: الجذب والطرد، أو الحب والكراهية، التي تفسر كيف تتغير جميع الأشياء في العالم طبقاً لايقاع الحياة والموت.



الحب يوحد، والكراهية تفرق،
وهذا ما يجعل الحركة..
والتغير يحدثان!



هذا فيلسوف آخر مات
بسبب آرائه:

انكساجوراس

ومع ذلك فهو لم يقل أكثر من الحقيقة «أن الأرض كتلة ملتهبة من الحجر» (وليست إلها كما كان يعتقد الأثينيون الجهلة»).

لكن كان
أسوأهم جميعاً
هو سقراط!



سقراط



جد الدعابة التي تستخدم «كفكاهة» عن كل شيء ـ عن الآلهة، والفلاسفة، والحكومات، والدين، بل حتى عن نفسه أيضاً. صحيح أنه لم يكن لديه مسحة من جمال: فهو قصير، بدين، أصلع، كثير التجاعيد، أشعث المظهر!

ولقد كان من أكثر مكتشفاته أصاله، أنه أنكر أن تكون الأخلاق مرادفة للدين ... وفيما يلي السبب:



وفي النهاية اتهم سقراط بأنه يفسد الشباب، ويهاجم المؤسسات، كما اتهم بالإلحاد. وانعدام الأخلاق... الخ الخ.

وبالطبع كانت عقوبة ذلك الإعدام التي تقبلها بأن تجرع السم (الهملوك Hemlock) من كأس كبير.

لكن بينما هو يتجرع السم كان يتحدث إلى تلاميذه بهدوء.



انتهت الفلسفة اليونانية بهؤلاء العمالقة الثلاثة:



أفلاطون
ديمقريطس
وأرسطو

لقد عبَّر أفلاطون عن أفكاره في صورة محاورات وبهذه الطريقة طرح الأسئلة الأساسية الثلاثة للفلسفة:



ـ كيف يمكن للإنسان أن يكتشف الحقيقة؟

ماهو أصل الكون؟

ما الغرض من الحياة البشرية؟



ويقول أفلاطون أن المعرفة الحقيقية للأشياء لا تأتي من الإدراك الحسي ولا من العقل.. أو أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف الحقيقة عن طريق العلم بل فقط عن طريق «الإلهام الذي يأتي من الأعلى. لا يستطيع الإنسان أن يعرف الأشياء بوسائله الخاصة بل فقط عن طريق الأفكار التي يهبها له الله عن الأشياء(1).





(1) فكرة غريبة عن المعرفة عند أفلاطون التي تبدأ بالإدراك الحسي وهو عنده الظن والوهم، ثم تعلو إلى الفهم (معرفة الرياضيات) وأخيراً تصل إلى العقل الذي هو المعرفة الحقة للعالم عن طريق الوصول إلى المثل (المترجم).

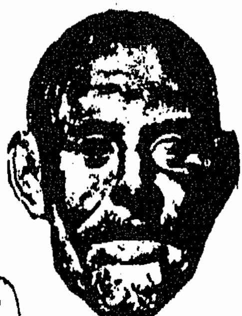
أن تفسيره للواقع لابد ، يقيناً، أن يسعد السلطات فالجمهور المتـــواضع لابـد أن يخـــدم الأغنيـاء والنـبـلاء، أكـثـر مما يفعـل، ولا ينبغي للفـقراء أن يقلقوا على المصير، طالما أنهم سـيكونوا سعـداء في العـالم الآخر ـ وهو بالطبع ليس هذا العالم، وإنما هو عالم متخيل على أية حال!



وبعـد ذلك، من المعروف جـيـداً أن المثل عند أفلاطون اعـتـاد أن يدعم من خلالهـا «نظرية خلود النفس» والطبيعة الآثمة للجسد ـ أعني للمادة..

آمين.

ديمقريطس



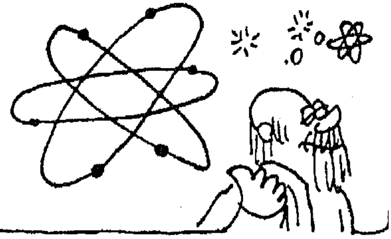
اضطهد لاعتناقه أفكاراً «مادية»!



كان ديمقريطس يتحدث عن:

الذرات

قبل المسيح بأربعة قرون وقبل أينشتين بأربعة وعشرين قرنا.



وانتهت الحقبة اليونانية بـ

أرسطو

عقل مبدع يحميه الإسكندر الأكبر، وعبقرية في كل مجالات البحث البشري (فقد كتب في علم الطبيعة، والميتافيزيقا، والأخلاق، والسياسة، والفلسفة، والبيولوجيا، وعلم الحيوان ...). ومُعلّم له اعتباره، وعالم دؤوب. استمر تأثيره في كل مكان حتى مولد المذهب المادي في القرن الثامن عشر.



أحد مكتشفات أرسطو الهامة هي أن الصراع الاجتماعي ينشأ من انعدام المساواة في الظروف الاقتصادية والاجتماعية.





وكل شيء يعتمد في رأي «آرى Ary»[١] على مَنْ الذي يملك السلطة، فلو كانت في يد الأغنياء فسوف يسمى نظام الحكم «الأوليجاركية»، وعندما تكون في يد الشعب فأن نظام الحكم يسمى «بالديمقراطية». وهناك أنواع كثيرة من الديمقراطية، يعتمد بدورها على مَنْ الذي يسيطر: الفلاحون أو الحرفيون ... وهكذا.



على هذا النحو كان تفكير «آرى» الذي كان أول مَنْ أدرك أن الوضع الاقتصادي هو الذي يؤدي إلى اللامساواة الاجتماعية، على الرغم من أنه من الصواب أيضاً أن تقول أنه وافق على «الرق» لأنه «ضرورة» للمجتمع.

(١) من الواضح أن «آرى» هو اسم الدلع لأرسطو!! (المترجم).



كانت تعاليمه بصدد «الأخلاق» أن السعادة هي الهدف الوحيد من الحياة، ولهذا فقد ذهب إلى أن أي شخص يحوز على قدر كاف من «المال» أو السلطة» أو «الشرف» - لابد أن يكون سعيداً[٢].

لقد رأى أرسطو أن مُثل أفلاطون خُلف غير معقول كما رأى أن الحواس هي المصدر الوحيد للحقيقة[١].





كان أول بحث فلسفي بدأ به ماركس الشاب، وعالجه بدقة هم هؤلاء «العمالقة» في الفكر اليوناني.

وهكذا كان موضوع رسالته للدكتوراة في الجامعة.



لو أن أحداً اهتم بقراءتها، فيمكن له أن يجدها في مكتبة مجاورة! ويمكن أن يستوعبها في أسبوعين، وسوف اضمن له أن يصبح عقلاً مبدعاً حقيقياً (أو أن يصبح شخصاً مخبولاً في ظرف شهر).

---

(١) هذه العبارة فيها الكثير من التجاوز، فإذا كانت الحواس هي أبواب المعرفة، فليست المصدر الوحيد للحقيقة لأن العلم عند أرسطو علم بالكلي وهو ما نصل إليه بالعقل وحده (المترجم).

(٢) السعادة عند أرسطو تتمثل في الوصول إلى الخير الأقصى الذي هو ممارسة النشاط العقلي، أما المال والسلطة فهي خيرات جزئية (المترجم).

الفلسـفة لم تـنته تماما هنا... حـتى إذا ما اخـتـفت تقريبـاً في المظهـر الزائف المتخلف لمسيحية العصور الوسطى...



أصبحت المعرفة خادمة للاهوت الديني.

ليس على سبيل المصادفة أن سميت هذه الفترة التي لا تصدق باسم

عصر الإيمان

ويقصد بالايمان انكار كل استدلال علمي.

وسوف نحاول فيما بعد أن نعرّف المقصود بالملائكة الست.



خلال هذه الفترة في روما، فرضت دكتاتورية وحشية أعلنت أن كل شخص لا يفكر كما تفكر الكنيسة فهو «هرطقي». فاختفى كل أثر للفلسفة من أوربا بعد أن أعدت «محاكم التفتيش المقدسة» نار الإعدام.

خـلال هذه العـصـور المظلمـة لم يتـطور العلم والفكر إلا خارج أوربا. في العـالـم الإسـلامي حيث نجد فـلاسفـة من أمثـال ابن سـينا، وابن رشد، دحـضوا الكـتاب المقـدس عـلى أنه زائف أو على أحسن الأحوال على أنه «حكايات رمزية يقـصـد بهـا الشـعب الجاهل»[1].



وكمثل توضيحي هناك ارازموس من «روتردام» راقبته محاكم التفتيش الأسبانية بوصفه «مهرطقاً».

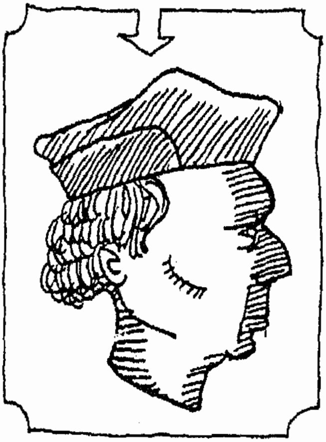
في غيـبة الفلسفـة الحقة، شـغل قلّة أنفسـهم بالمشكلات اللاهوتية. مثـل هل للملائكة سرّة؟ أو هل سرطان البـحر خالد؟ وكذلك أسـرار الكنيسة. والقديس تـوما الأكويني هو أحد هؤلاء الفلاسفة الذي كـتب ٢١ جلداً من الرياضة الذهنية ليدافع عن نظريات الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.



لا تزال هذه الكتب تدرس حتى الآن في المعاهد الكاثوليك.

(١) لم نسـمع عن دحض فـلاسفـة الإسـلام لأي كـتاب مـقـدس ويبدو أن المؤلـف يوظف تاريخ الفكر البشري لصالح الفكر الماركسي! (المترجم).

كان ماكيـافللي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧) أول فيلسوف ظهر وهاجم الكنيسـة ودعا إلى التمـرد ضـد دكتـاتورية الكهنة..





والآن يبدأ: ـ

عصر النهضة

الذي بذل فيـه العـقل والعلم جـهـداً ضد المعتـقـدات، والطغيـان الديني، والتعصب. وحقق للإنسانية نصراً هاما هو: حرية الفكر.



جيوردانو برونو (١٥٤٨ ـ ١٦٠٠) راهب دمانيكاني. معاصر لجاليليو تخلى عن نظامه الكهنوني، وأخذ بالنظريات التي تقول بوحدة الوجود أي أن الله والطبيعة هما العناصر الايجابية والسلبية للواقع. حكمت عليه محاكم التفتيش بالسجن، ولما رفض العدول عن رأيه أُحرق حياً عام ١٦٠٠.

تلك وهي الفترة في التاريخ البشري عندما ازدهرت، فجأة، عقول من الدرجة الأولى وبرهنت على انتصار العقل على قوى الظلام من أمثال: دانتي، بترارك، لوثر، فيكو، دافنشي، ارازموس، كوبرنيكس، جاليليو، كبلر، نيوتن، بيكون، وجوراندو برونو...



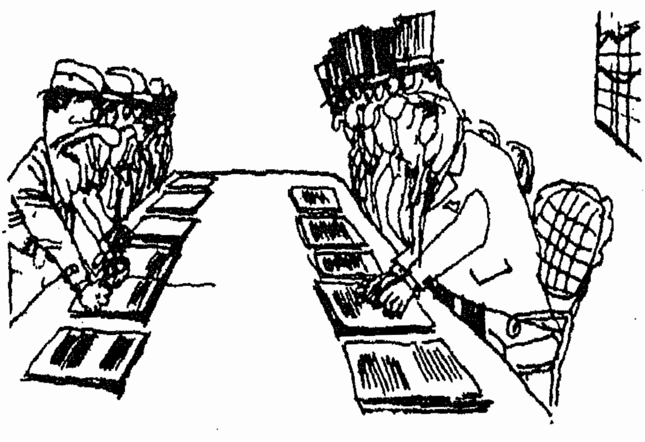
وجميعهم كانت توجههم فكرة واحدة: البحث عن الحقيقة في استقلال عن الكنيسة والدين. لكن كل واحد منهم كان يترنح تحت نير الكنيسة الثقيل.





وليس للفكرة اعتبار في ذاتها إلا لسببين: الأول: أن فيكو أكد هذه الفكرة في مواجهة الاقطاع من حوله.

والثاني: ـ أنه تحدث لأول مرة عن تطور المجتمع نحو الديمقراطية من خلال الصراع الطبقي.



بالتأكيد أن الخطأ الذي وقع فيه أنه أوقف تطور البرجوازية لن تتغير إلى الأحسن بل أن البشرية كلها سوف تبدأ من جديد من الطور الأول، في دائرة تطور جديدة.

ديكارت

و

اسبنوزا

كان هناك فلاسفة عظام في القرن السابع عشر، في القرن الذي ما زالت الفلسفة فيه تسيطر عليها كنيسة روما.



كان ديكارت مفعماً بروح عملية حقيقية، صارع بقوة لتفسير الأشياء من وجهة نظر مادية، واستخدم الاستدلال بصدد طبيعة الأشياء، كما حاول في الوقت نفسه البرهنة على وجود الله.



مذهب ديكارت («أنا أفكر، إذن، أنا موجود») عبارة عن جزء مادي وجزء مثالي، فهو يعتقد أن الموجود البشري عبارة عن آلة لكن بروح كامنة فيه. وقد حدد مكانها فهي تقع في الغدة الصنوبرية أسفل المخ.



عاش اسبنوزا في عزلة أولاً بسبب أنه يهودي وثانياً لأنه لا يريد أن يكون يهودياً فأصبح ملحداً..

أعلن اسبنوزا عن شيء لا يمكن التفكير فيه في تلك الأيام:



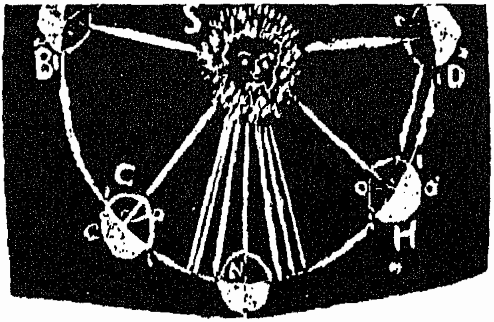
لا يوجد على النحو الذي يقول به الدين، بل يوجد فقط ـ كما يؤكد اسبنوزا ـ كمبدأ روحي غير شخصي تتشكل منه حقيقة الكون.. (تؤمن وحدة الوجود أن كل شيء هو الله) وهذا هو السبب الذي من أجله عاش اسبنوزا في فقر يعمل في صقل عدسات النظارات ليكسب قوته..

لأن ديكارت واسبنوزا وأتباعهما أخطأوا في الاعتقاد بأن الطبيعة لا تتغير ولا تتطور وأنها تتبع فقط قوانين أزلية لا يمكن لها أن تتغير.



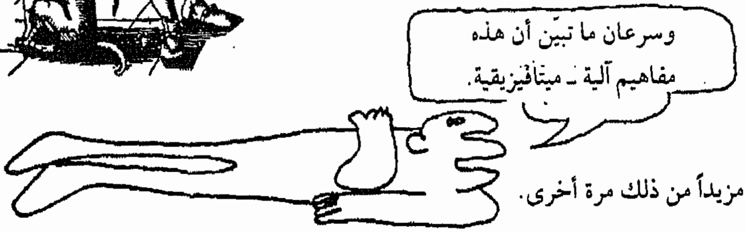
غير أن جميع هؤلاء الفلاسفة أشباه الماديين وأشباه الملحدين، وقعوا في خطأ واحد. لقد وضعوا ثقة أكثر من اللازم في العلم فقد بدأوا من افتراض أن الإنسان جزء من الطبيعة (وهذا حق). وأن العلاقات البشرية ينظمها نفس القانون الذي ينطبق على جميع أحداث الطبيعة الأخرى (وهو خطأ).







وصل ديدرو (وآخرون)إلى نتيجة هي أن الكون والبشر كانا دائماً شيئاً واحداً. لم يخضعا أبداً للتطور، لكنهما معاً يكرران نفسهما في نفس دورة الحياة والموت.



آه ! لا.. ليس مزيداً من ذلك مرة أخرى.

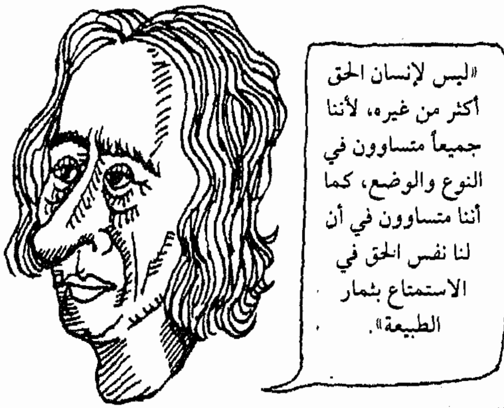
<u>الشعب</u> في نظره لا وجود له، «الأبطال» وحدهم هم الموجودن (الملوك، والزعماء، والأنبياء، والفلاسفة) ـ الذين كانوا قادة..
تلك هي «القوة المحركة» للتاريخ؛ فأنف كليوبطرة، كان له تأثير على التاريخ أكبر من شعب مصر!.



إذا واصلنا مسار الفلسفة قبل ماركس فأننا نصل إلى المذهب التجريبي..!

لوك ـ باركلي ـ هيوم

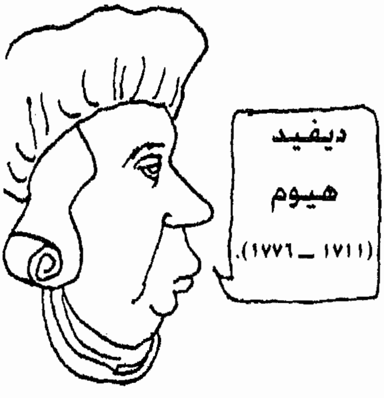
المذهب التجريبي..!



لوك (جون)

فيلسوف انجليزي عارض حق الملوك الإلهي، والعصمة (أو الحقيقة المطلقة) للدين ومعتقدات الكنيسة، كما كان فيلسوفاً مادياً محلداً...

كان لدى لوك الفكرة التي تقول أن الناس أحرار في التفكير في الله بطرقهم الخاصة. وليس كما يقول لهم دين ما، وكان ذلك حجراً ضخماً في رؤوس القساوسة، والفيلسوف التالي جورج باركلي، هو أسقف انجليي، حاول أن يدحض نظريات لوك، لكنه لم ينجح لأن فيلسوفاً آخر جاء للدفاع عنه...



.. فيلسوف لا أدري (اللاأدري هو مَنْ يقول أنه يدافع عن فكرة انعدام اليقين).
أثار ديفيد هيوم استياء الإنجليز وسخطهم بأفكاره المعارضة للدين، فشدّ الرحال إلى فرنسا حيث استقبل فيها بحفاوة كبيرة...





كانت فرنسا خلية نحل تموج بأكثر الأفكار تقدماً. تمرد واسع وثورة ضد طغيان الكهنوت، والنظام الملكي، وصلت إلى ذروتها في الثورة الفرنسية وانتصار:

العقل

على الدين.

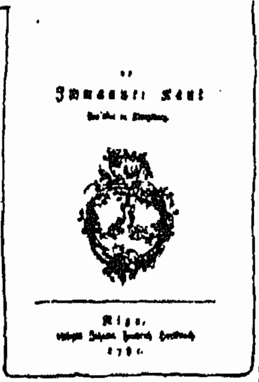
بالطبع ، فعلت الثورة الفرنسية الكثير لنشر الأفكار السياسية (مثل الحرية، الأخاء، المساواة). أكثر من نشر الأفكار الفلسفية، وتبع هذا المثال أجزاء أخرى من أمريكا قاتلت لتحرر نفسها من أوربا.. كما قاتلت أوربا لتحرر نفسها من البابا ...



(ومع هذا التحرر جاء ازدهار علوم جديدة..).

عكس الفلسفة المادية في القرن السابع عشر تماما، ظهرت أنواع مختلفة من الفلسفة المثالية، وقد وصلنا الآن إلى بطل عظيم من أبطالها هو الفيلسوف الألماني.

امانويل كانط
(١٧٢٠ ـ ١٨٠٤)



وأشهر كتبه «نقد العقل الخالص» الذي قضى في تأليفه خمس عشرة سنة في تحليل الفكر البشري. من بين النقاط المعقد التي أثارها كانط في دراسته القضايا الآتية:

أي محاولة ـ سواء أكانت علمية أو دينية ـ لتعريف الواقع ليست سوى افتراض محض.

أي محاولة لإدراك المعرفة الترنسندنتالية عابثة، طالما أن كل قضية يستطع المرء أن يستخرج منها بطريقة مشروعة قضية مناقضة.

من المستحيل البرهنة على وجود الله بأية طريقة مألوفة.



لقد كان كانط على يقين من أنه لا يمكن أن تكون هناك أخلاق ما لم يكن هناك إيمان بخلود النفس، وأيمان كذلك بوجود سابق لله كضرورة.

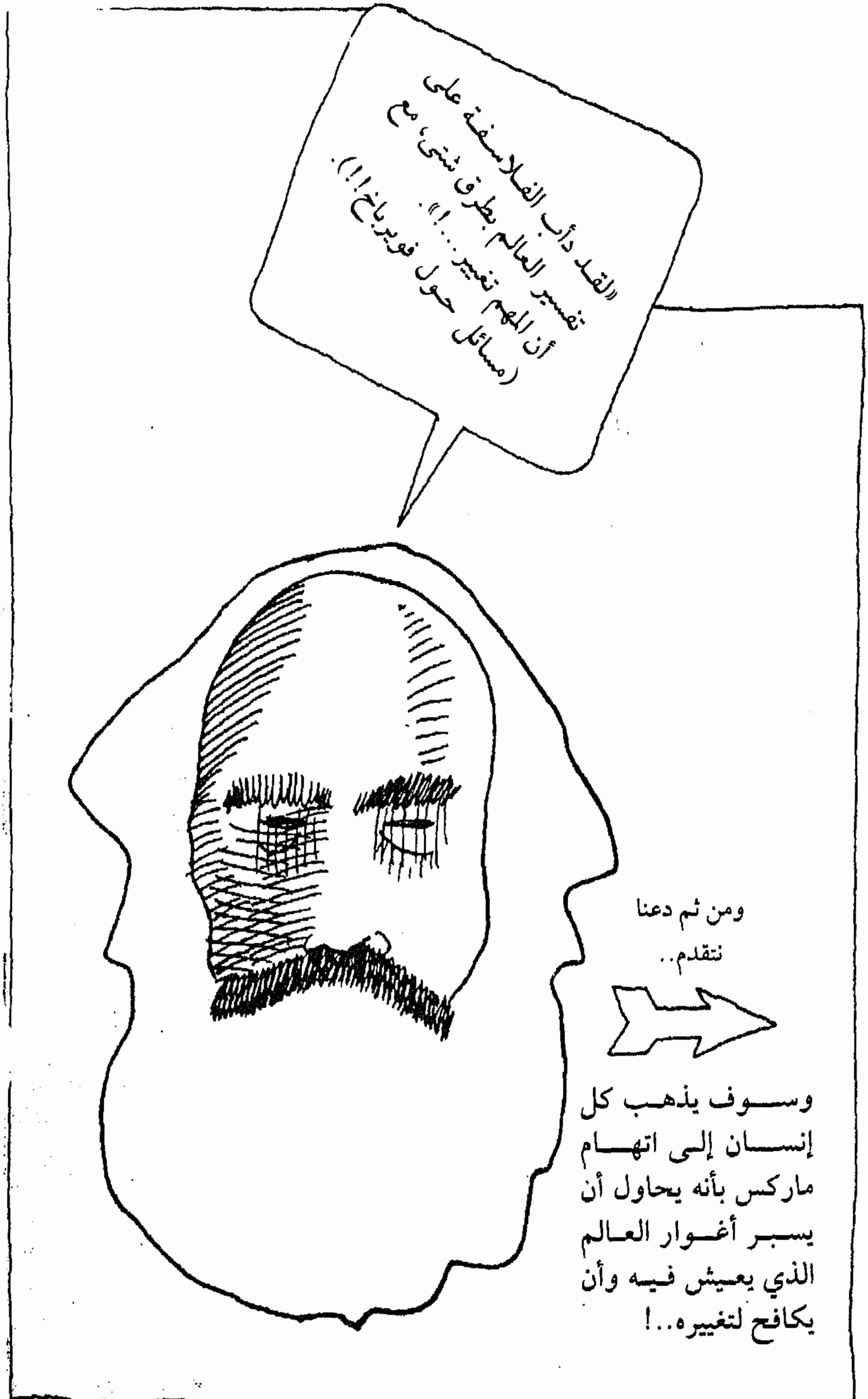


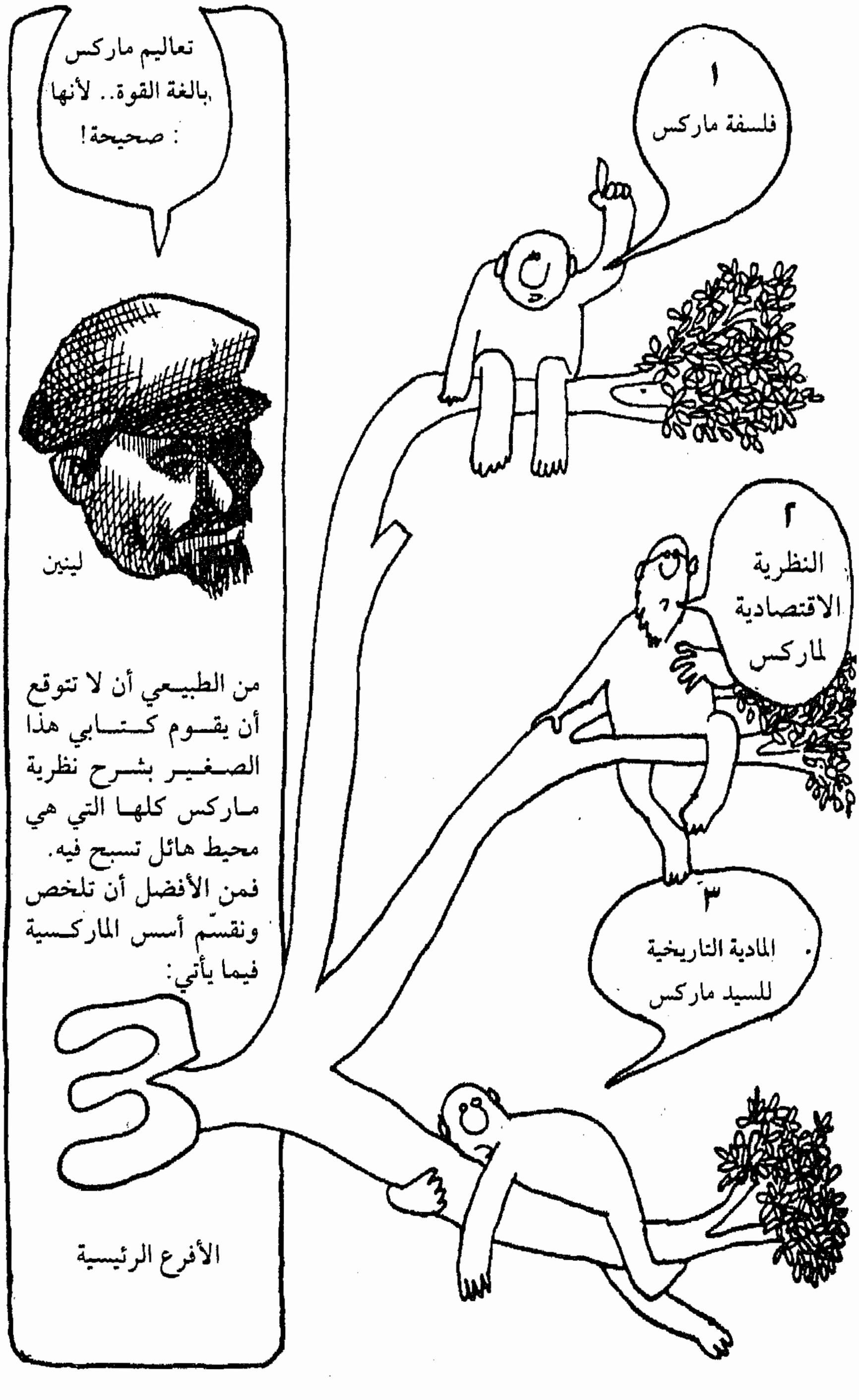
والمحطة الهامة في رحلتنا هي أن نصل هنا إلى الفلسفة الألمانية المثالية . طالما أنها كانت نقطة انطلاق ماركس. فقد كان فشته وشلنج وهيجل هم مفسروه. فمعهم قفزت الفلسفة قفزة هائلة للأمام، واكتشفت أفضل ما كان في الفلسفة اليونانية الجدل، أو فكرة التطور البشري.

صح!
ماركس اعتقد ذلك أيضاً. فالفلسفة قد تحولت إلى سترة لاضفاء الرطانة والتخبط، ومن المستحيل أن تميز فيها الرأس من الذنب!

ولقد أخذ ماركس على عاتقه مهمة فك الخيوط المضفرة. وبدأ يجعل الفلسفة علماً دقيقاً، عن طريق افتراضات أقل جنوناً، وهكذا أعطاها الوسيلة الخاصة لتغيير العالم...!




«لقد دأب الفلاسفة على تفسير العالم بطرق شتى، مع أن المهم تغيير...!». (مسائل حول فويرباخ!!).
ومن ثم دعنا نتقدم..
وسوف يذهب كل إنسان إلى اتهام ماركس بأنه يحاول أن يسبر أغوار العالم الذي يعيش فيه وأن يكافح لتغييره..!


تعاليم ماركس
بالغة القوة.. لأنها
: صحيحة!
لينين
من الطبيعي أن لا تتوقع أن يقوم كتابي هذا الصغير بشرح نظرية ماركس كلها التي هي محيط هائل تسبح فيه. فمن الأفضل أن تلخص ونقسّم أسس الماركسية فيما يأتي:
الأفرع الرئيسية
١
فلسفة ماركس
٢
النظرية
الاقتصادية
لماركس
٣
المادية التاريخية
للسيد ماركس

وتبدأ المثالية بافتراض وجود قوى إلهية تعلو على الطبيعة!



أما المادية فهي على العكس لا تجعل شيئاً مثالياً بل تسعى إلى التفسيرات العلمية للأشياء ـ بما في ذلك الدين نفسه.



المثاليون يفسرون الأشياء لأنفسهم عن طريق الدين.
بينما يحاول الماديون تفسير ما هي أسس العلم.

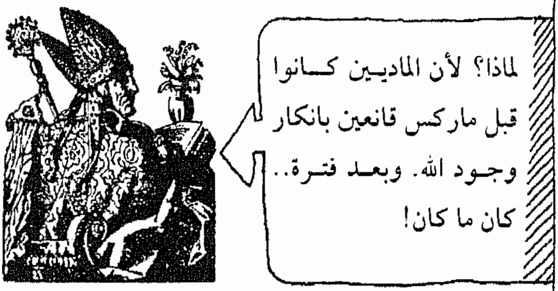
تتخيل المثالية وجود أشياء فهي تفترض مثلاً وجود أرواح وهي تجعل كل شيء مثاليا لأنها لا تقدم براهين لما تفترضه.



وهو أشبه بأن تحاول أن تعرف مذاق السكر دون أن تختبره.

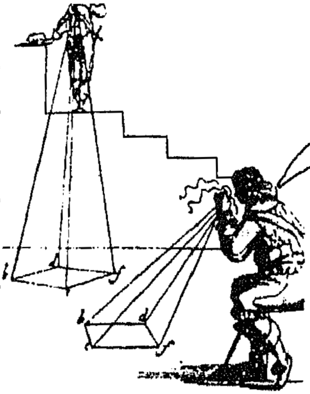


ومع بداية دراسة ماركس للفلسفة انضم في الحال إلى <u>المذهب المادي</u> لكنه كرس عمله كله طوال حياته لاعطائه طابعا علمياً أكثر وجعله أكثر اتساقاً..





في القرنين السابع عشر والثامن عشر ظهرت مكتشفات علمية عظيمة: في الرياضيات وفي ميكانيكا الأجرام السماوية وهذا هو السبب في أن المادية أصبحت «آلية أو ميكانيكية» وبعبارة أخرى فحص الفلاسفة الماديون الطبيعية والحياة الاجتماعية معاً من وجهة نظر آلية ميكانيكية.



هذا المعيار الفلسفي يسمى بالمعيار الميتافيزيقي.

لقد وضع الفلاسفة أنفسهم على أسس الميكانيكا التي كانت ذروة العلم في تلك الأيام، وتخيلوا أن نفس القوانين الآلية يمكن تطبيقها تلقائياً على الحياة والطبيعة.

لماذا الميتافيزيقا؟! ★

في الميتافيزيقا، الأشياء لا تتغير (أعني أنها ثابتة) بل أنها أعطيت مرة واحدة وإلى الأبد. وبالتلي يمكن فحصها في استقلال الواحدة عن الأخرى.

نظام هيجل، استدلال فويرباخ مثل

الطبيعة تزداد دائماً من الناحية الكمية فحسب، لكنها تبقي كما هي باستمرار.

أولئك الذين يفكرون على هذا النحو بصدد الطبيعة، في استطاعتهم أن يفكرو بنفس الطريقة عن المجتمع أيضاً، يرى الميتافيزيقيون أن المجتمع يتغير بقدر ضئيل جداً، إلا أنه يكرر نفسه بطريقة آلية مثلاً الحروب، والمجاعات، الحكومات ... الخ.



★ وهي كانت تعني في الأصل كتب أرسطو التي جاءت بعد كتاب الطبيعة.

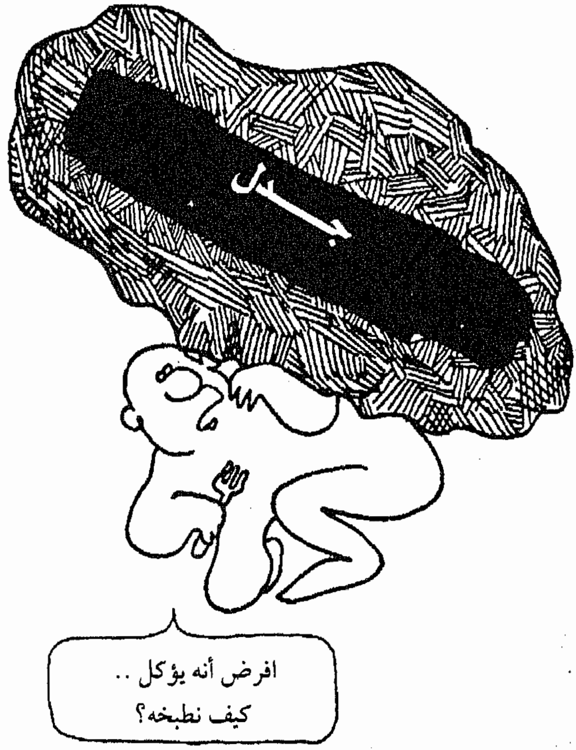


عندما اكتشف ماركس الخطأ الذي وقع فيه الماديون والميتافيزيقيون سأل نفسه السؤال ذاته:



فلنترك مشكلة وجود الله ـ فمن أراد أن يصل إلى الجنون فليسأل أهو موجود أم لا؟ ومن هنا قال كارل فلننظر إلى الإنسان ودوره في العالم ـ كيف يمكن أن يقال حقاً: أنه لا شيء يتغير في العالم؟

لقد استبدل ماكس وانجلز بالفكرة الآلية المرئية عن الطبيعة والبشرية ـ نظرية تطورية أو نظرة جدلية.

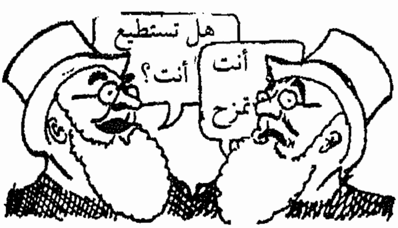


إذا ما عـدنا إلى الوراء إلى العصور القـديمة لوجدنا أن بعض الفلاسـفة قد استـعملوا، بالفعل، هذه الطريقـة للوصول إلى الحقـيقـة، عن طريق منهـج الحـجـة التي تستخرج فـيه التناقضات من استـدلالات خصمك..

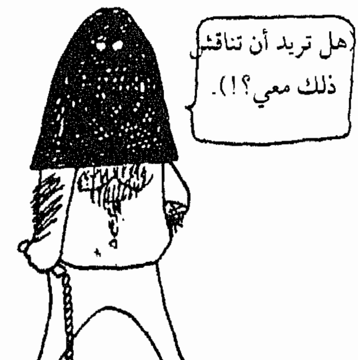




«... انحصر أفـقه أساساً في المفـاهيم والمعرفة السـائدة في عـصـره وفـي اسـتطاعـة المرء أن يضيف أن هيجل كان فيلسوفاً مثالياً. عنده أن الأفكار ليـست أكثـر ولا أقل من تصـويرات مجـردة للأشيـاء. وإنما على العكس الأشـياء وتطورها ـ هي إسـقاط للأفكار الموجـودة في مكان لا يعلم عنه أحـد شـيئاً ـ حتى قـبل أن يوجد العالـم نفسه[1]. وهكذا فشـل مذهب هيجل فشـلاً ذريعاً لكنه آخر المذاهب من هذا النوع. وعلى حين أنه يؤكد مـن ناحية صيـغة أساسية لمفهوم التاريخ، يصيح التاريخ البشري بفـضهـا عملية تطورية لا تستطيع أن تسبـر طبيعتها.



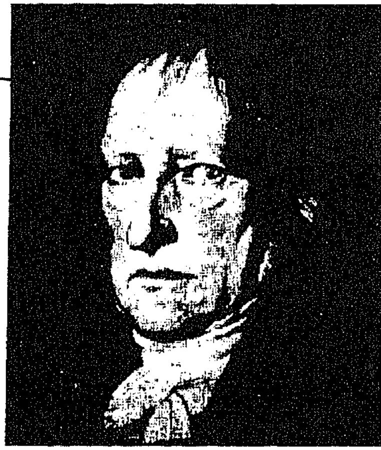
ولقد عارض الدين (الكاثولكية بصـفة خاصة) الجـدل لأنه لا يسمـح بالحجـة. فـالأشيـاء هي بالضبط كما ذكر الكتاب المقدس ـ فلا نقاش!



بدأ كـانط وهـيـجل بإعـادة استـخـدام المنهج الجـدلي. غيـر أن هيـجل لم يجـعـله أبداً على الأرض. على نحو ما تستطيع أن ترى من ذلك:

(١) فكر خاطئة تماما عن فلسفة هيجل، فـهي على أقل تقدير تلغي وحدة الفكر والوجود عنده. وما يقوله المؤلف، ينطبق في الواقع على أفلاطون الذي انتقده هيجل! (المترجم).

من حيث الجوهر



تحتوي فلسفة هيجل على كثرة من الأفكار القيمّة ، مثل نظريته عن الحركة الأزلية، وتطور الروح الكلي، ولا سيما منهجه في:

الجدل

لقد كان على حق عندما قال أن قانون الجدل يحكم تطور الروح، لكنه لم يذهب بعيداً بما فيه الكفاية، ويطبقه على الطبيعة والمجتمع.

من وجهة نظر المنهج الجدلي لا شيء أزلي أو ثابت لا يتغير،... لكن رغم ذلك ينكر هيجل تطور الطبيعة والمجتمع وهذا هو التناقض الخطير في استخدامه للمنهج(١).



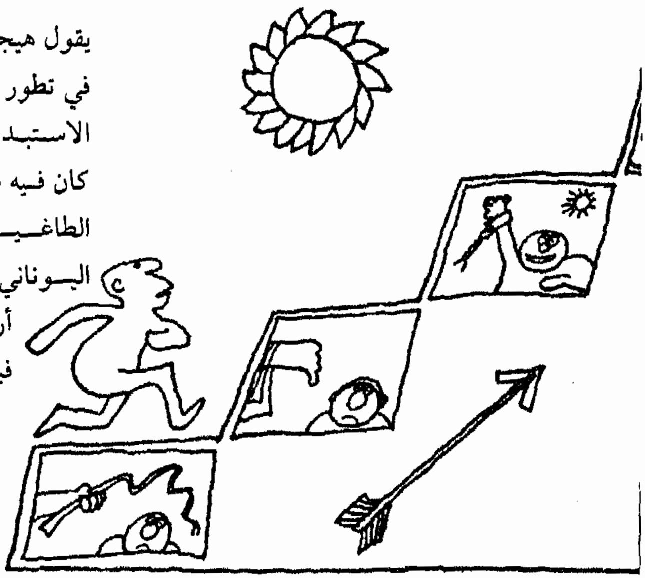


(١) هذا كلام بالغ الخطأ! فالجدل موجود في الطبيعة وفي الحياة الاجتماعية، بل والحياة العاطفية أيضاً «فالقلب المفعم بالفرح يعبر عن فرحة بالدموع. وغالباً ما يعبر الحزن العميق عن نفسه بابتسامة! ـ كما يقول هيجل (المترجم).

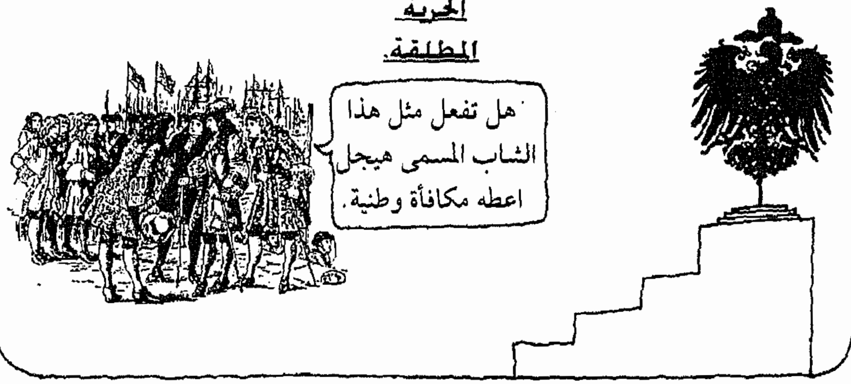


بالتأكيد! يقول هيجل أنك تستطيع أن تشعر أنك حر حتى وأنت في الأغلال!
عظيم! الآن فسر ذلك!
هيجل (وسوف أحاول أن أكون واضحاً) كان فيلسوفاً مثالياً يقول أن ماهية الواقع ليست مادية بل روحية (أو ذهنية)، وهي من ثم مستقلة، وبالتالي حرة...».
تبدو أفكار هيجل في يومنا الراهن خلفاً محالاً. لكنها كانت تبدو في عصره جريئة للغاية، ولهذا السبب هوجمت لأنها كانت (بطريقتها الخاصة..) جدلية..
جدلية.. نعم لكن مثالية.
ولابد أن تكون نصيحة هيجل لأي عامل يستغله أصحاب العمل هي: لا تزعج نفسك بما أنت فيه من قهر مادي ؟؟ بالأمور «الروحية» فحسب! باطاعتك للدولة (التي هي تجلي الله على الأرض) سوف تجد السعادة والحرية (للروح..).
وماذا قال أيضاً؟
لكن ماذا تقول نظرية هيجل عن التطور؟
باختصار أن نجعله مادياً!
وهذا ما أدى بماركس إلى القول بأن منهج هيجل كان «مقلوباً» رأساً على عقب. ويحتاج إلى أن يقف علي قدميه من جديد.
حسناً دعنا نأخذها خطوة خطوة!

يقول هيجل أن النمو البشري سار في تطور مستمر، يبدأ من الاستبداد الشرقي البدائي الذي كان فيه شخصٌ واحدٌ حرٌ، (هو الطاغية) ثم بعد ذلك النظام اليوناني ـ الروماني، وهو نظام أرستقراطي كان البعض فيه أحراراً...



ثم بعد ذلك اختفى الرق والقنانة[1]، وأصبح الناس أحراراً أكثر.. بعد الأمبراطورية الرومانية ـ الجرمانية المقدسة النظام الاقطاعي، النظام الملكي، الثورة الفرنسية، وفي النهاية الدولة البروسية، وصلت البشرية (في رأي هيجل على أية حال) إلى
الحرية المطلقة.



كان لبروسيا أمبراطور، وجيش، وكنيسة غنية جداً، وبعض ملاك الأرض الكبار. والشعب يعمل من أجلهم دون أن يكونوا عبيداً ربما لكنهم مقهورون بما فيه الكفاية. ولم يلحظ هيجل هذا القهر وتخيل أن الحرية المطلقة موجودة فقط لأن العبودية تمّ إلغاؤها!.

---

(١) الأقنان هم عبيدالأرض فهم ينتمون من حيث الملكية إليها. وليس إلى صاحب الأرض، فإن باعها انتقلت ملكية العبيد ـ مع الأرض ـ إلى السيد الجديد (المترجم).



لم يلحظ دكتور هيجل أي شيء عن هذا!..
أن ما كان يحدث حقاً هو أن النظام الاقطاعي بدأ يتداعى تدريجياً ويترك مكانه: للنظام الرأسمالي وهو شكل من أشكال الاستغلال أكثر حداثة وخفاء!
يشبه بالضبط وزيراً في الحكومة؟!
استمر هيجل يفكر في التطور البشري بينما هو في الواقع ينكره لأنه يزعم أن الدولة البروسية قد بدأت في انجاز هذا التطور بالفعل، وهكذا غاص من جديد في الميتافيزيقا...
لكن ماركس لاحظ!
تظل حجج هيجل صحيحة ومشروعه وكذلك الجدل حتى ولو أنه طبقها تطبيقاً خاطئاً على الواقع.. دعنا نرى، مثلاً، كيف تصور «الصراع بين الدول»...
كل شيء مركب من أضداد لأنه مؤلف من عناصر رغم أنها مترابطة معاً. فأنه في الوقت ذاته يستبعد كل منها الآخر.
لا تصاب بانهيار عصبي، فهناك مثال قادم!

يتألف المجتمع، مثلاً، من تركيبات متعارضة. (الأغنياء وميسورو الحال في معارضة الفقراء والبؤساء) مرتبطون، نعم، لكن متعارضون.





لم يؤد الصراع بين الأضداد إلى تغيير دولة هيجل البروسية، بل إلى إصلاح المجتمع بالأحرى، ومن الطبيعي أن ذلك يناسب هيجل! وهذا هو السبب!



لسبب وجيه جداً، يقول هيجل أن ما يجعل البشرية تتطور هو الصراع بين الأضداد. فانتصار ضد على آخر هو الذي يحدث التغير..

عند هذه النقطة خطا ماركس خطوته ليضع هيجل (ومنهجه الجدلي) في الوضع الصحيح ...



هيجل

فويرباخ تلميذ هيجل المثالي، تخلى عن المثالية الهيجلية وحولها إلى مادية لكنها مادية ميتافيزيقية، لأنه أدرك الطبيعة (والمجتمع أيضاً) فرأى المجتمع غارقا في النعاس بلا حركة وبلا تغير مباشر، لأن التغير يعني:



إذا كان ماركس قد تأثر بالمنهج الجدلي عند هيجل ماراً بفويرباخ (وهو ينطق «فو - ير - باخ») فقد حوله إلى جدل مادي.
غير أن ماركس تناول نظرية فويرباخ بالتغيير..



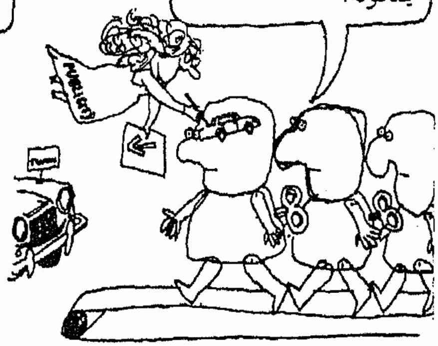
كان على ماركس أن يخلط الأوراق، وأن يجمع بين أفضل ما في هذا وأفضل ما في ذاك، ثم يصل إلى صيغته الشهيرة الفريدة عن:



المادية الجدلية

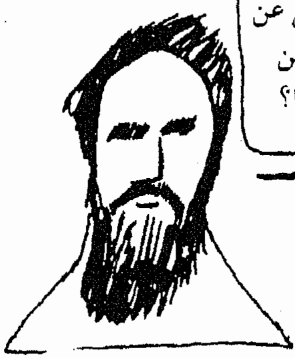
(الجدل من هيجل، والمادية من فويرباخ).

الاغتراب يعني: أن تصرف الانتباه، وتستولي على ملكية شيء، أو أن تغتصبه من الآخرين الذين يملكونه.



وكما لاحظنا من قبل كأن هيجل لم ير، أو لم يشأ أن يرى، استغلال الأغلبية من الأقلّية الغنية الممتازة. وها هو أول سؤال سأله ماركس الشاب لنفسه:

يغترب العمل عن العامل: لكن كيف ولماذا؟



العامل غير الحر (الذي يعمل من أجل صاحب العمل) ـ قد ينال العامل أجراً، لكنه يغترب عنه، فيحرمه من شيء يذهب إلى جيب صاحب العمل.

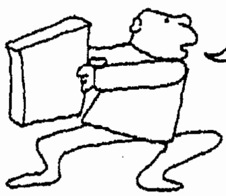


في أول عمل له بدأ ماركس يبحث الاغتراب ـ أو أفضل: الأنواع المختلفة من الاغتراب: سياسياً واقتصادياً، ودينياً.

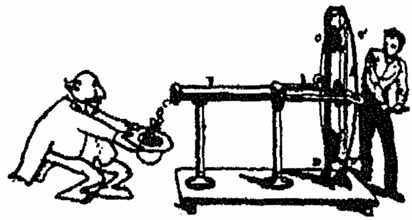
لكن هل هذا الشيء «مال»، أم ماذا؟



وهذا العمل يسمى المخطوطات الاقتصادية والاقتصادية لعام ١٨٤٤.

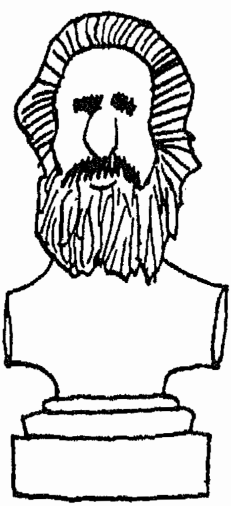


عن طريق عمله ، فأن العامل ينتج شيئاً (ملابس، آلات، إطارات، كتب، منازل... الخ) لكن هذا الشيء من واقعة بقائه من ممتلكات صاحب العمل يتحول بخفة يد إلى بضاعة (سلعة) فمن الواضح أن العمل لا ينتج أشياء لصالح العامل الذي يصنعها مباشرة، بل يستفيد منه شخص آخر.



يبدأ الاغتراب مع العامل بطريقة عصر المرابي.

ويتساءل ماركس:
إلى أين ينتهي نتاج عمل العامل؟



اغتراب العامل يُعبّر عنه على هذا النحو:

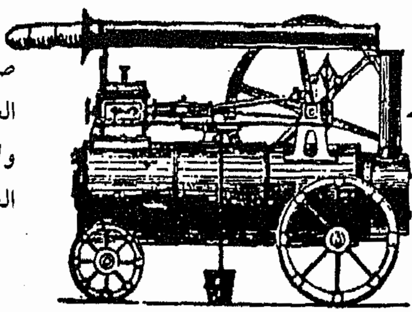
كلما أنتج أكثر استهلك أقل، وكلما خلق من قيمة، كانت قيمته هو أقل. أن العامل ينتج أشياء كثيرة من أجل الغنى ويظل البؤس للعامل. وتحل الآلة محل العامل وتقلل من فرص العمل بينما يتحول عمال آخرون إلى آلات..

(ماركس مخطوطات عام ١٨٤٤)

(على هذا النحو يصنع الاغتراب ضحاياه).

والاغتراب لا يحط من قدر الإنسان فحسب، بل يجرده أيضاً من شخصيته، وما الذي يمكن أن تتوقعه؟

مجرد تابع من جسد على آلة من حديد
(ماركس).



هكذا يتساءل ماركس:
صاحب العمل يفرض نوع العمل، والطريقة، والايقاع، ولا ينزعج أبداً إذا ما انتهى العامل بصفته.

ويذهب ماركس أكثر من ذلك مؤكداً: وسائل الانتاج مجتمعة الموجودة الآن قد أنتجها العمال في أجيال سابقة الذين فكروا، وابتكروا وأعطوا حياتهم للوصول إلى شيء ما..





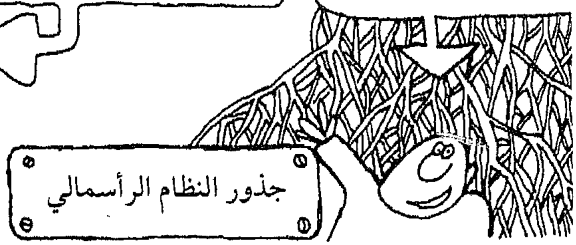
هل من الصواب أن تنحصر جميع هذه الأموال في يد فئة قليلة؟ أن اختراعات وعمل آلات من السنين يتحول إلى ميزة تنحصر في فئة قليلة غنية؟! كلا! ليس ذلك صواباً!

«أصبحت القوى الاجتماعية سلطة خاصة للقلّة».

ويذهب ماركس أيضاً إلى أن عمل الكثرة يتحول بذاته إلى رأس مال لقلّة متميزة.



الملكية الخاصة لوسائل الانتاج هي الصورة القصوى للاغتراب.



أصبح عمل العمال سلطة في يد المالك، عمل ضائع، ملكية، ثروة. وكلما ازدادت ملكية الرأسمالي، ازداد افقار الطبقة العاملة.

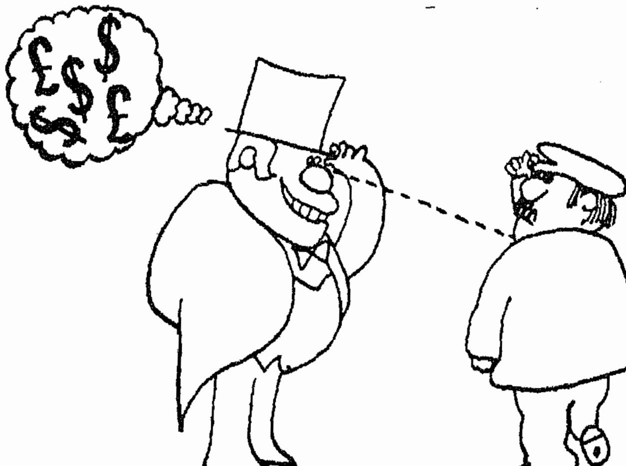


وهكذا ينتهي ماركس إلى أن أعمق ماهية للإنسان، وهي عمله الخلاّق، تحول إلى ملكية.

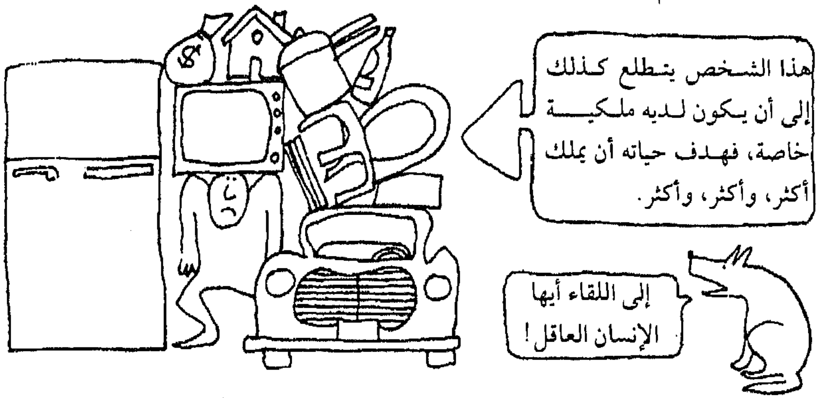


«الحرية» السعيدة التي تحدث عنها هيجل لا وجود لها. المال يجبر الذين لا يملكونه إلى أن يبيعوا أنفسهم جسداً وروحاً أعني أن يبيعوا قوة عملهم (العمال الفلاحون، المثقفون ـ) وهذا هو الاغتراب أو الاستغلال.

الاستغلال



لكي يكون للإنسان ممتلكات كان عليه «أن يبيع نفسه» لكي يكون لديه ما يملكه الآخر. لكن لم يظهر له أبداً أنه كلما حصل على شيء قلّ احتفاظه بنفسه.



كيف يمكن أن يتغير هذا الوضع؟



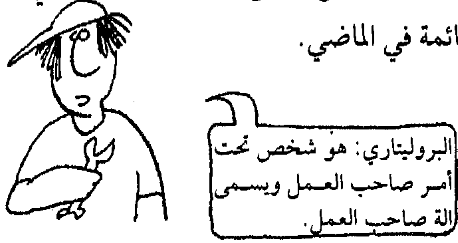
أن شرور العالم التي لا حصر لها تنبع من «الدفاع» عن الملكية الخاصة بشرور مثل: الحسد، الحرب، الأنانية، الجريمة، الظلم، بؤس الجماهير، وترف القلّة.

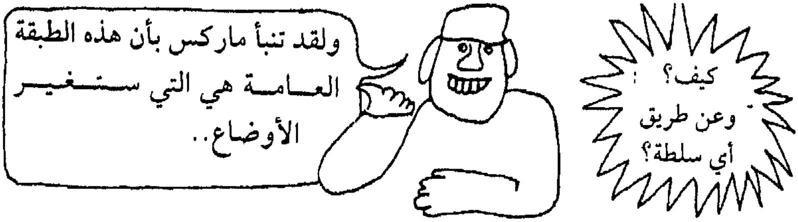


أعلن ماركس عن وجود طبقة جديدة هي:

البروليتاريا

التي ظهرت لتعيش مع الثورة الصناعية عندما بدأت الآلة تحل محل الحرف اليدوية التي كانت قائمة في الماضي.

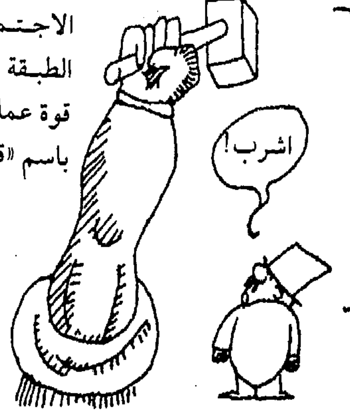




على خـلاف الحـرف الصغـيـرة التي اعـتـادت أن تمتلك وسـائل حـرفتـها ـ فـأن البـروليتـاريا لا تملك شـيـئـاً عـلى الاطلاق لا الوسائل ولا الانتاج..

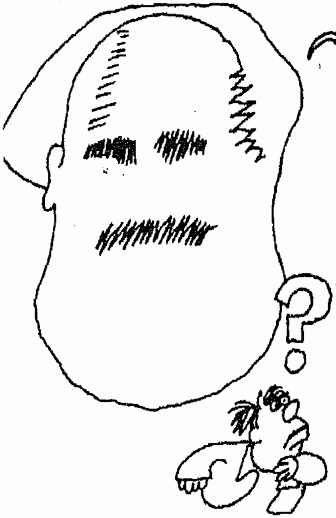


إذا مـا تحدثنا مـن الناحـيـة الجـدليـة قلنا أن هذا هو مـا يحـدد نوع الصـراع بصـفـة خـاصة بين الأضـداد: رأس المال من ناحـيـة والعمل من ناحية أخـرى، فهما يعـيشان معاً ـ يقينا ـ لكن مع مصالح متعارضة.



على خـلاف جمـيع الطبقـات الاجـتـمـاعيـة الأخـرى، فـأن الطبـقة العاملة لا تمـلك سوى قوة عملها أعني ما يسمى عادة باسم «قوة العمل».

وعناصر المشكلة واضحة، وهي لا تحتاج إلا إلى برهان عملي، ليس بطريقة لغة الفلسفة التي تريك كل إنسان.



الملكية الخاصة جعلتنا حمقى وأحاديّ الجانب، أن الشيء لا يكون ملكاً لنا إلا عندما نستحوذ عليه، عندما يوجد أمامنا كرأس مال أو عندما نقتنيه، أو نأكله، أو نشربه، أو نلبسه أو نسكنه... الخ. باختصار عندما نستخدمه..

وبدلاً من جميع هذه المعاني البدنية والذهنية، ظهر الاغتراب المطلق لكل هذه المعاني ـ معنى الملكية. فقد ارتد الموجود البشري إلى هذا الفقر المطلق حتى يستطيع أن يسلم ثروته الداخلية إلى العالم الخارجي...

ولكي نستطيع أن نلغي فكرة الملكية الخاصة، فأن فكرة الشيوعية كافية لذلك تماما. فهي تقوم بفعل واقعي فعلاً لإلغاء الملكية الخاصة. وسوف يدركها التاريخ، وهذه الحركة التي نعرف أنها من الناحية النظرية تتجاوز ذاتها، سوف تشكل واقعة فعلية عملية طويلة وقاسية للغاية.

ماركس (ملخص من مخطوطات عام ١٨٤٤)

لا يزال ماركس في مخطوطات عام ١٨٤٤ يتحدث كما لو كان فيلسوفاً خالصاً، ليس له اتصال حقيقي بالطبقة العاملة إلذى كان هو وحده قد اكتشفها. فهو لم ير الأشياء بوضوح إلا بعد أن حرر نفسه من المفاهيم البرجوازية وبدأ يرى الواقع من زاوية البروليتاريا..

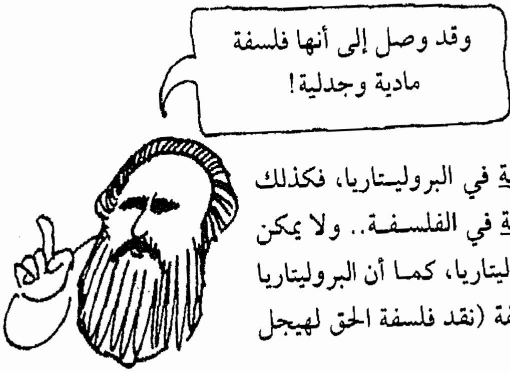
والسبب بسيط للغاية وهو أن الفلسفة الموجودة حوله هي الفلسفة البرجوازية، لا فلسفة البروليتاريا.. التي هي محصورة في حدود القلّة.







هذا ما أدركه ماركس وجعله ينفق حياته في ابتكار فلسفة للبروليتاريا.



كما أن الفلسفة تجد أسلحتها المادية في البروليتاريا، فكذلك البروليتاريا تجد أسلحتها العقلية في الفلسفة.. ولا يمكن للفلسفة أن تتحقق إلا بإلغاء البروليتاريا، كما أن البروليتاريا لا يمكن أن تتحقق إلا بإلغاء الفلسفة (نقد فلسفة الحق لهيجل عام ١٨٤٤)



غير أن الضرورة الأولى هي أن نعرف كيف تفكر البروليتاريا، أن نعيش بينهم لكي نوحد بين النظرية والتطبيق. والبلد الذي كان فيه التطبيق ثوريًا وحقق أعظم تقدم هو:

فرنسا

التي ولدت فيها عام ١٧٨٩ أول ثورة عظيمة في التاريخ البشري.



الثورة الفرنسية.

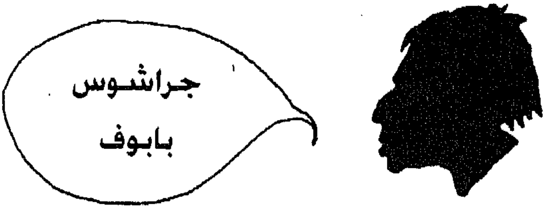
على نحو ما رأينا بالفعل (لكن ربما نسينا) للماركسية ثلاثة مصادر أساسية هي:



٣

- الفلسفة الألمانية
- الاقتصادي السياسي الإنجليزي
- الاشتراكية الفرنسية

وما دمنا قد ألقينا نظرة على الأصول الفلسفية. فلنلق لمحة سريعة على الاشتراكية الفرنسية بادئين بـ:



١٧٦٠ ـ ١٧٩٧

عندما انهزمت الثورة الفرنسية «تراجع اليعاقبة، عرفت جماعة منهم باسم:

مؤامرة المتساوين[1]

كانت تأمل في القيام بكفاح مسلح من أجل السلطة وإقامة دولة اشتراكية ...



الواقع أنها لم تكن معروفة، ففي البداية مصادرة الثروة وإعادة توزيعها بالتساوي، وإقامة ملكية مشاع، والعمل والتعليم إجباري لأي فرد. غيرأن المؤامرة اكتشفت وأدين بابوف.

---

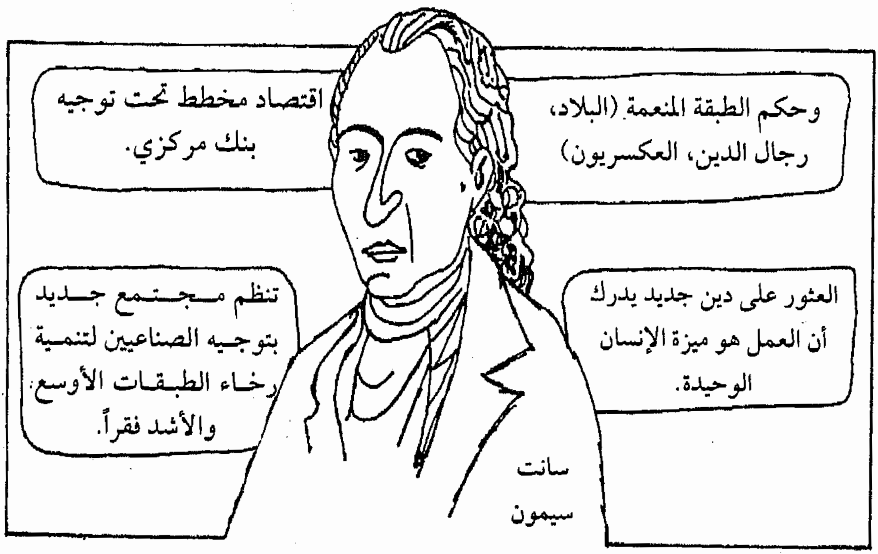
(١) حركة ثورية فرنسية في القرن الثامن عشر من أجل «جمهورية المتساوين» مجتمع قوي واحد يحكم من مركز واحد، وقد كان زعيمها جراشوس بابوف الذي تمَّ إعدامه بالمقصلة عام ١٧٩٧ (المترجم).

كذلك المحاولات التالية نحو الاشتراكية حدثت في فرنسا ابان عهد نابليون، غير أن هذه المحاولات كانت نظرية فحسب والاسمان الكبيران هنا هما



سان ـ سيمون وفورييه

وهما معروفان على أنهما اشتراكيان طوباويان. لأن ما يريدان انجازه يبدو طوباوياً. أو أمراً مثالياً تماماً.



عندما مات سان سيمون بدأ تلاميذه، في الواقع، البحث عن دين له طقوسه الخاصة وشعائره وأشياء من هذا القبيل ولم يكن لنظرية سان سيمون أي أساس علمي على الإطلاق. كما أنها لم تعترف بصراع الطبقات.



على خلاف سان سيمون الأرستقراطي، كان فورييه فقيراً، وقضى حياته في اقناع الأغنياء بتمويل المشروعات.

فورييه

آه! ليس كثيراً! أنه يريد فقط أن يبني نظاماً شيوعياً من جماعات صغيرة كل شيء فيه ينتمي إلى كل فرد، مع منازل للعامة، ونقابات للمستهلكين لمنع زيادة الثروة في أي قطاع. وسوف يكون للأغنياء الجانب الأصغر من المشاركة في حين يتحرك الفقراء. (وبذلك يحدث التوازن) ولقد أسس بالفعل بعض هذه الجماعات (أطلق عليها اسم «فلانستير»). لكنه قضى أيامه الأخيرة في مستشفى الأمراض العقلية.



لا شك أن بعض أفكاره تستحق شيئاً من الاعتبار، مثلاً إلغاء المنافسة بين المنتجين لوقف المغالاة في الربح في أشياء عديمة الجدوى، ومضاعفة بنود الترف.

أحد أنصار حرب الطبقات والثورة المسلحة، قضى ٢٣ عاماً من حياته في السجن. الخطوة الأولى في دكتاتورية البروليتاريا حتى ولو كانت أقلية وليست ـ كما ذهب ماركس ـ هي الغالبية.

لوي أوجست بلانكي ١٨٠٥ ـ ١٨٨١ آسف لم أعثر على صورة له!

وربما استفاد ماركس (ولينين!) من بعض أفكار سان سيمون وفورييه في تكوين نظرياتهما العملية الخاصة.

غير أن المساهمة الكبرى جاءت من ثلاثة من «الاشتراكيين» الفرنسيين الآخرين..

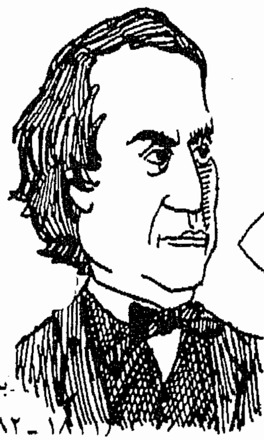
بلانكي
برودون
بلانك





برودون
(١٨٠٩ ـ ١٨٦٥)

نقابي وفوضوي، ورغم ذلك فهو ضد الحركة النسائية، نذر نفسه عدواً لتحرر المرأة من عبودية المنزل، وهو صاحب فكرة إنشاء جمعية اسعاف. «الملكية سرقة»

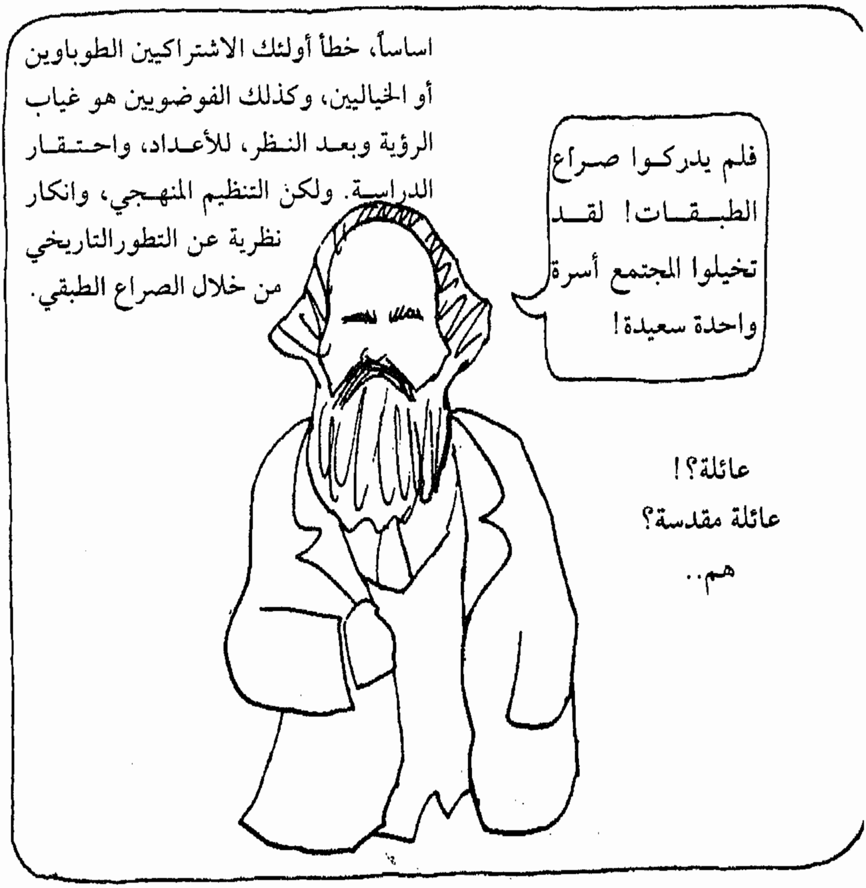


بلانك
(١٨١١ ـ ١٨٨٢)

قائد عمالي صاحب اختيار القاعدة، والاشتراكية الشرعية، وليس ذلك النوع الثوري العنيف. عبارته الشهيرة «من كلّ حسب امكاناته، ولكلّ حسب حاجاته».

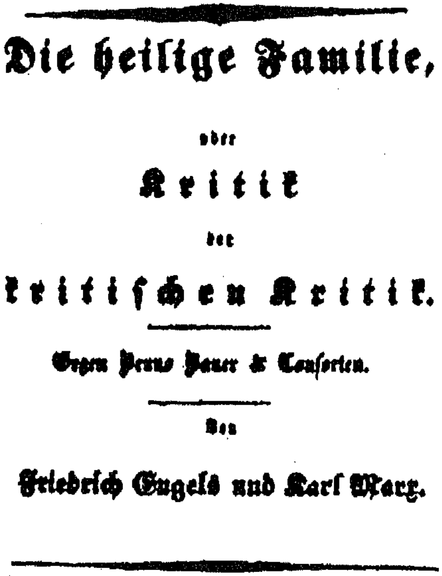
ولقد اتصل بهم ماركس في باريس، وكثيراً ما كافح ليطلعهم على أخطائهم. وكان بعضهم يصطاد في الماء العكر. بينما لم يفهم بعضهم الآخر مذهب ماركس وسماه «حماقة غير واقعية» أو «راديكالية مفرطة».





العائلة المقدسة

وهكذا كان لدى ماركس شيء جديد يضيفه إلى «مخطوطات» باريس. دراسة أخرى تحمل عنوانا غريباً.



Die heilige Familie,

oder

Kritik

der

kritischen Kritik.

Gegen Bruno Bauer & Consorten.

Von

Friedrich Engels und Karl Marx.



في هذا الكتاب الذي كتبه ماركس مع انجلز، أوضح أن صراع الأضداد القائم في المجتمعات الرأسمالية بين رأس المال والعمل وثورة طبقة العمال التي لا مفر منها، وما يترتب عليه من هزيمة للبرجوازية . في كلمتين صراع الطبقات.



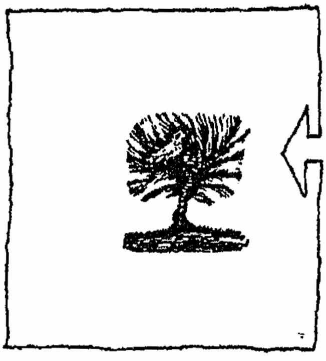
قضية متضادة في كل العالم.

وبدلاً من صراع الطبقات تريد الرأسمالية أن تبشر بـ «التحالف» من أجل التقدم.

غيـر أن «صراع الطبـقات» لـم يكن من ابتكار مـاركس لكنه تعبيـر كان مـوجوداً على الدوام ـ (وربما سـوف يسـتـمر فـي الوجود علـى الدوام) ـ منذ أن بدأ العـالـم. وعلى الرغم من أن ماركس يقول لنا أنه لم يكن موجوداً على الدوام كما سنرى).







«المجتمع البـرجوازي الحديث الذي ظهر من حـطام المجتمع الاقطاعي، لم يزل عـن طريق تطاحن الطبـقـات. لكنه أقـام طبقـات جديدة، وظروفـاً للقهـر جديدة وأنواعـاً جديدة من الصراع.. وشيئاً فشيـئاً انقسم المجتمع ككل إلـى معسكرين كبيرين متعادين:

البرجوازية والبروليتاريا.

وما هو مهم هو إدراك أن لكل طبقة اجتماعية مصالحها الخاصة ولكل طبقة آراء حول حكومة الدولة تتفق مع دفاعها عن هذه المصالح.

الانسجام الاجتماعي الذي تبشر به بعض «النفوس الجميلة» لا يمكن أن يوجد.



ولا يمكن أن يوجد لأنه طالما أن طبقة تعيش على استغلال طبقة أخرى فسوف يوجد صراع ضد الاستغلال!

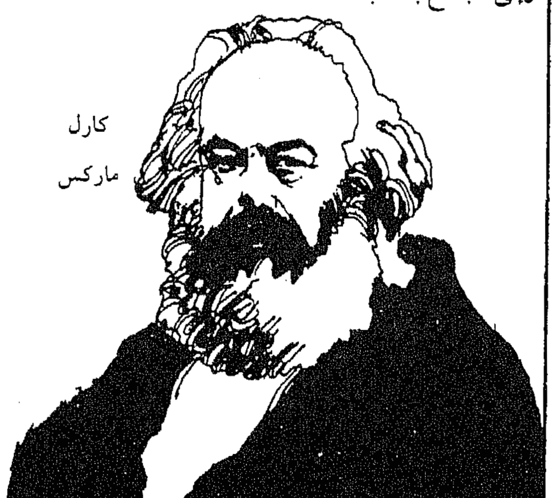
وهذا الصراع الطبقي ضرورة من أجل التقدم البشري.



هذا ما كتبه ماركس في البيان الشيوعي عام ١٨٤٨ ، لكننا لا نعتقد أن ماركس كان مخطئاً، فالحقبة التي عاش فيها تختلف عن عصرنا أتم الاختلاف.



لم ينكر قط مدى دينه للآخرين. على نحو ما جاء في هذا الخطاب لـ «ودماير في ٥ مارس عام ١٨٥٢ : ـ «أما بالنسبة لي فلا يرجع لي الفضل في اكتشاف وجود الطبقات في المجتمع الحديث ولا حتى الصراع بينها. فقبلي بزمن طويل وصف المؤرخون البرجوازيون التطور التاريخي لهذا الصراع الطبيعي ـ كما وصف الاقتصاديون البرجوازيون التشريح الاقتصادي للطبقات. وما فعلته أنا وكان جديداً هو البرهنة(١) على أن وجود الطبقات يرتبط بأطوار تاريخية خاصة بتطور الانتاج . (٢) أن صراع الطبقات يؤدي بالضرورة إلى دكتاتورية البروليتاريا (٣) أن هذه الدكتاتورية هي وحدها التي تشكل الانتقال إلى إلغاء جميع الطبقات وإلى مجتمع بلا طبقات!».



كارل ماركس



وهذا غير ممكن لأن النظام الرأسمالي ليس له سوى هدف واحد: الربح الذي يقوم على أساس الملكية الخاصة التي يحصل عليها عن طريق الاستغلال لعمال البروليتاريا.



* ملحوظة:
في أيام ماركس انتشر الاعتقاد الديني الآتي:



وكان هيجل من هذا الرأي. فلم ير طبعاً أمام الفقراء سوى النظام الرأسمالي، أما ماركس فقد كان مقتنعاً باصرار بعكس ذلك.

لقد برهن ماركس بدقة كبيرة على أنه في ظل هذا النظام الجديد(وهو النظام الرأسمالي) فأن العامل لن يستمتع قط بأية مزايا من التي يحتفظ بها النظام للملاك وحدهم الذين يملكون وسائل الإنتاج.



وهكذا كان على ماركس أن ينقل من المشكلات الفلسفية إلى المشكلات التي تتجاهلها الفلسفة عادة، لكنه أدرك أنه لابد من السيطرة عليها قبل أن يتمكن من البرهنة على قضاياه:

مشكلات اقتصادية



العجيب أن مستر ماركس لم يتدبر حل مشكلاته المالية الخاصة (وكثيراً ما تبيت أسرته على الطوى! ـ مع أنه حاول حل مشكلات الملايين من العمال المستغَلّين!).

في لندن، وباريس، وروما، وبروكسل، وبرلين.

في استطاعتي أن أصمد طوال اليوم.

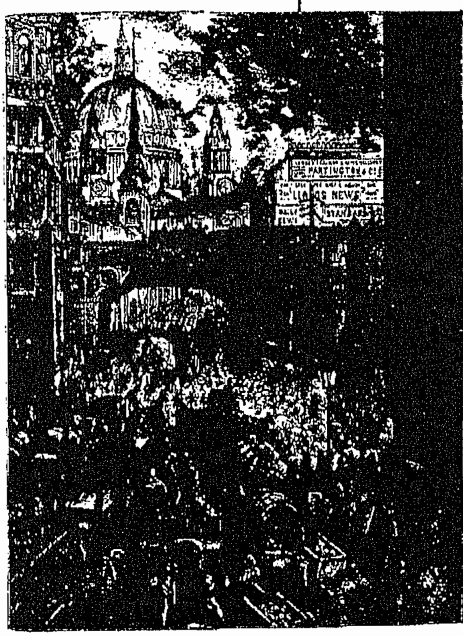
وسوف يبدأ ماركس من الآن في العيش في فقر مدقع، بلا مرتب وبلا رأس مال...



لكن من الأفضل أن نفهمه عن طريق اقتباس من الخطاب الذي خطه إلى صديقه فردريك انجلز..

من ماركس إلى انجلز في ٨ سبتمبر عام ١٨٥٢ .

«سوف تراني من خلال خطاباتي ـ كالمعتاد عندما أكون على صواب ـ غارقاً في الهم بنفسي، ولم أسمع عنه فحسب من بعد، أنني أبدي لا مبالاة كاملة. على أية حال: ما العمل؟ منزلي عبارة عن مستشفى، والأزمة تطحنني لدرجة أن تتطلب أن أوجه لها كل انتباهي. والجو مزعج جداً: زوجتي مريضة، ولنشن مريض، ولدى لنشن نوع من الحمى العصبية. لم أستطع ولا أستطيع الآن ـ أن استدعي طبيباً، لأنني لا أملك ثمن الدواء. لقد دبّرتُ أمر اطعام الأسرة لمدة ثمانية أيام أو عشرة ـ من الخبز والبطاطس.. ولكنني أشك فيما إذا كنتُ أستطيع أن أفعل ذلك اليوم... لم أكتب مقالاً لـ دانا Dana لأنني لا أملك مليماً للخروج أو قراءة الصحف، وفضلاً عن ذلك هناك فواتير الخباز، واللبان، والخضري، والجزار العجوز. فكيف يمكن لي أن أتعامل مع كل هذه القذارة الشيطانية؟ وأخيراً في الأيام الثماني أو العشرة الماضية ، دبرتُ اقتراض بعض الشلنات والبنسات التي كانت ضرورية ضرورة مطلقة إذ أردنا أن نتجنب أن نلفظ أنفاسنا الأخيرة...».



فكيف ندافع عنه؟



يبدأ ماركس: ما الأجر؟

إذا سئل العامل: «كم أجرك؟» فقد يجيب أحدهم «أحصل على مارك في اليوم من البرجوازي» وقد يجيب آخر «أحصل على ماركين».. وهكذا. طبقاً لأنواع التجارة المختلفة التي يعملون بها، سوف يذكرون مبالغ مختلفة يتلقونها من البرجوازيين المختلفين من فترة معينة من العمل. أو لاتمام قطعة معينة من العمل، مثل غزل أو نسج، ياردة من الكتان، أو ترتيب صفحة مطبوعة، وعلى الرغم من تنوع هذه الأشياء، فأنها جميعاً تتفق في شيء واحد هو أن الأجر مبلغ من المال يدفع في مقابل قدر من عمل معين.

ويظهر من ذلك أن الرجل الرأسمالي يشتري بالمال.. والعمال يبيعونه عملهم في مقابل المال. غير أن ذلك ليس سوى المظهر فحسب، إذ الواقع أن ما يبيعونه للرجل الرأسمالي هو قوة عملهم ويشتري الرأسمالي قوة العمل هذه لمدة يوم. أو أسبوع أو شهر ... الخ ـ ويبدأ يشتريه يستخدمه بأن يمتلك عمل العمال للمدة المتفق عليها، بنفس المبلغ الذي كان الرأسمالي يشترى به قوة العمل. فمثلاً «ماركان»يستطيع أن يشتري بهما رطلين من السكر، وهما ثمن رطلين من السكر. أو كمية معينة من أية سلعة أخرى. والماركان اللذان اشترى بهما ١٢ ساعة قوة عمل هي ثمن ١٢ ساعة عمل. ومن ثم فقوة العمل سلعة لا تزيد ولا تقل عن السكر. السلعة الأولى تقاس بالساعة، والثانية بالميزان.

(ماركس: الأجور والعمل ورأس المال).





هل فهمت؟ العامل يستبدل بضاعته (قوة العمل) نظير أجر مكافيء (٨٠٪ كما يقول صاحب العمل) ليشتري قوته: اضاءة وطعام، مأوى، ملابس ...

لكن إذا ما حسبنا ما يدفعه العامل على حاجاته الأساسية. فلابد أن يكون ما يدفعه جيد أجداً ـ هكذا لابد أن يقول صاحب العمل.



دعنا نراجع ذلك على الربح الناتج من عمل العامل. ويفسر انجلز الذي كان هو نفسه صاحب عمل كيف يكون ذلك: ..

دعنا نفترض أن عاملاً معيناً ـ ميكانيكيًا ـ عليه تصنيع جزء من آلة يستطيع انجازها في مدى يوم كامل. وأن المادة الخام في صورة نحاس وحديد وغيرها من الأشياء اللازمة مقدما تكلف عشرين ماركاً. واستهلاك الفحم الذي يعمل على تشغيل الآلة البخارية، والاستهلاك الناجم عن استخدام هذه الآلة نفسها، والمخرطة وغيرها من الأدوات الأخرى التي يستخدمها العامل. تمثل يوماً واحداً، وتحسب بمشاركته في استخدامها، ما قيمته ماركا واحداً. أجرة يوم واحد طبقاً لافتراضنا، هو ثلاث ماركات. وهذا يعني ٢٤ مارك لصناعة جزء الآلة الذي نريده. لكن الرجل الرأسمالي يحسب أنه سوف يحصل، في المتوسط على ٢٧ مارك من المستهلك في المقابل، أي ثلاث ماركات زيادة عما أنفقه.

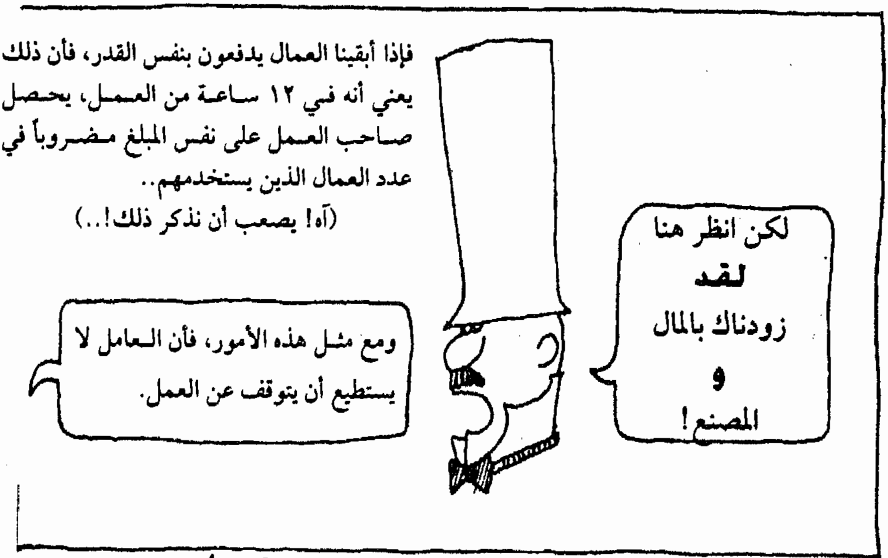
فمن أين تأتي الماركات الثلاث التي يضعها الرأسمالي في جيبه؟ طبقاً للاقتصاد الكلاسيكي تباع البضائع، في المتوسط، بقيمتها، أعني بأسعار تقابل القدر الضروري من العمل الذي تتضمنه. الثمن المتوسط لجزء الآلة ـ ٢٧ مارك ـ سوف يكون نظيراً لقيمتها يعني يعادل العمل الذي تجسده. لكن هناك ٢١ مارك ـ من ٢٧ مارك ـ هي بالفعل موجودة قبل أن يبدأ الميكانيكي عمله. عشرون موجودة في المواد الخام، ومارك في الفحم المستهلك أو في الآلات والأدوات المستخدمة في العملية والتي تقل في فاعليتها لقيمة هذا المبلغ وهنا تبقى ست ماركات أضيفت إلى قيمة المادة الخام. لكن طبقاً للفرض الذي يفترضه الاقتصاديون أنفسهم، فأن هذه الماركات الست لا يمكن أن تنشأ من العمل الذي أضيف إلى المادة الخام بواسطة العامل. هذه الساعات الاثنى عشر من العمل قد خلقت بهذا الشكل قيمة جديدة للماركات الست. وقيمة عمله ١٢ ساعة لابد من ثم أن تعادل الماركات الست. ولابد لنا في النهاية أن نكتشف ماهي «قيمة العمل؟»

(انجلز: الأجور ـ العمل ـ رأس المال).

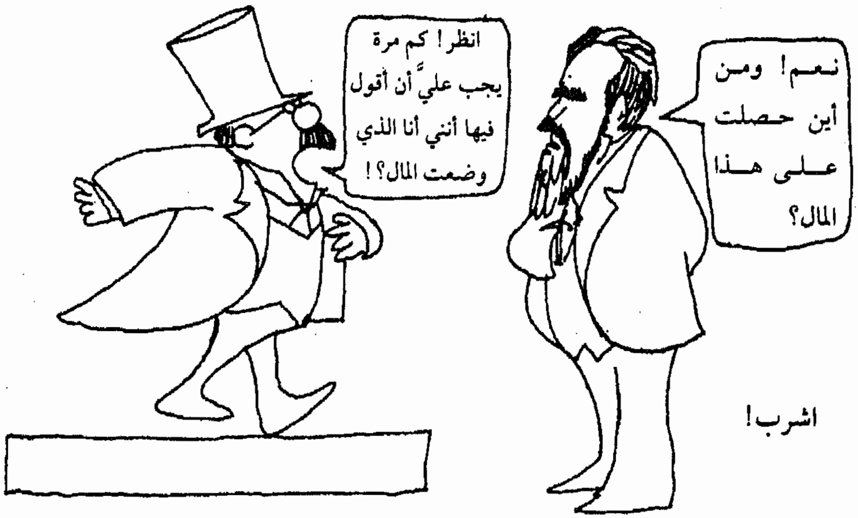




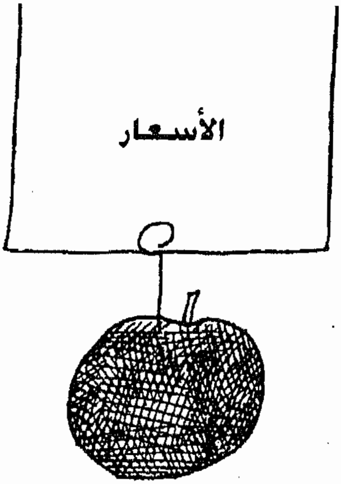




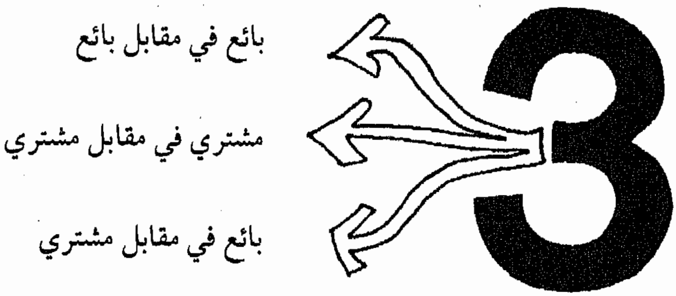
من المسلّم به أن العامل يعمل لكي يعيش، فما يربحه يحاول به أن يُبقي أسرته على قيد الحياة، وهكذا يقضي أحلى سنوات عمره يعمل ما لا يحب أن يعمل .. في حين أن صاحب العمل يثرى ويثرى..

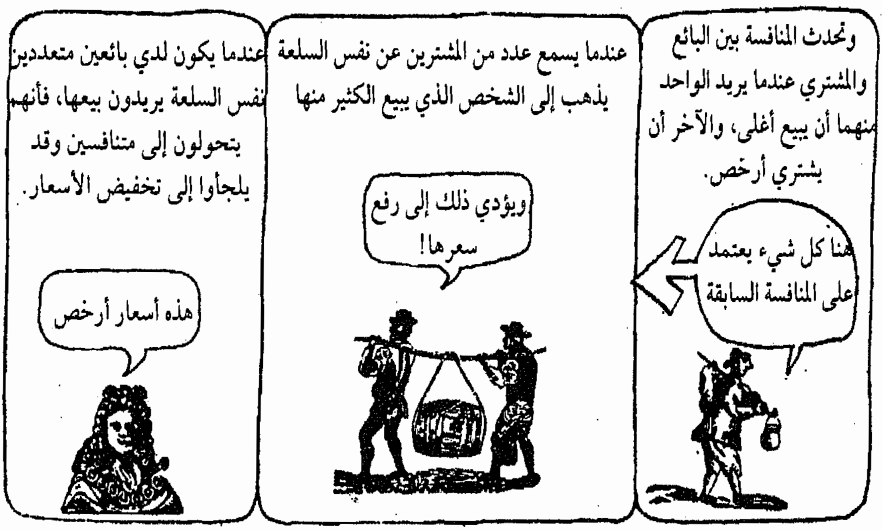


على حين أن أصحاب العمل يهرولون لاستشارة علماء الاقتصاد والأيديولوجيين، على أمل أن يجدوا طريقة ما لتفنيد نظريات ماركس ـ فأننا نجده يواصل! المرتب هو ثمن سلعة معينة.. لكن كيف يتحدد ثمن السلعة..؟.



ما يحدد سعر أي منتج هو المنافسة.
أو بدقة أكثر ثلاثة أنواع من المنافسة.





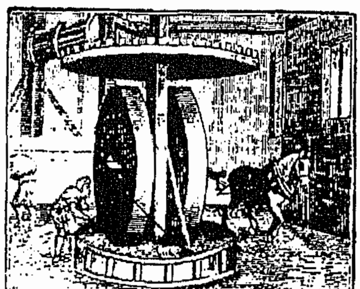


هذا هو قانون العرض والطلب!

إذا كان هناك ١٠٠ سيارة و ١٠٠٠ مشتري ممكن فأن أسعار السيارات تقفز إلى أعلى تبعاً لرغبات البائع . لكن إذا كان هناك ١٠٠ سيارة و ٢٠ مشتري فقط، فمن المحتمل جداً أن يكون الثمن إلى جانب المشتري.

دعنا نتحدث عن أسعار الانتاج.. فالسيارة على خط التجميع، مثلاً، تكلف ١٠,٠٠٠ جنيه أضف إلى ذلك جميع التكاليف الخفية مثل الدعاية والعلاقات العامة ، والتمرينات ، وعمولة الموزعين والضرائب، وأرباح المنتجين.

والنتيجة أن السعر الإجمالي يقفز إلى ٢٠,٠٠٠ جنيه



لكن ما زلنا لا نعرف ما الذي يحدد السعر؟



بعض الأعمال تصل أرباحها إلى ٢٠٠٪ ثم..؟؟؟



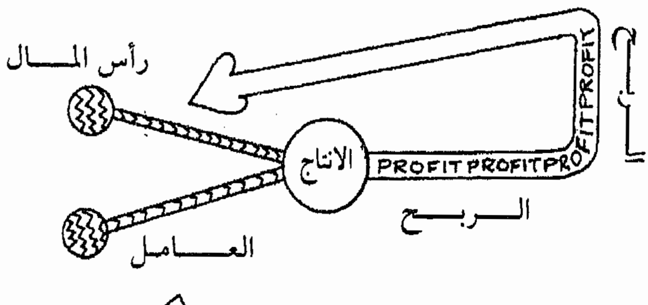
وعلى أية حال فقد ظهر سؤال عما إذا كان من الممكن تحديد ربح الثروة (وبكم ؟) ١٠٪ هل هذا «عادل ومناسب»؟! لكن المشكلة لا يمكن أن تكون قد حُلّت بهذه النسبة.

لم يكن ماركس يعرف شيئاً عن موضوعات مثل وكلاء البائع، وكذا العلاقات العامة، والإعلانات. وذلك كله يعمل على تضخم أسعار البضائع بشكل هائل.

لو كنتُ عرفتها لخصصتُ لها فصلاً كاملاً في كتابي «رأس المال».



وعلى حين أن صاحب العمل، والرأسمالي ، أو الرجل الغني يحصل على أرباح طائلة من عمل العامل، فأن العامل المسكين لا يحصل على مليم واحد زيادة نظير عمله..



وهذا الرسم يبيّن مسار العمل ، دخل الرأسمالي والعامل (مال لأحدهما وعمل للآخر) يؤديان معاً إلى انتاج هائل.
غير أن الأرباح تسير فقط في اتجاه واحد، وليس في الاتجاهين كما تقضي العدالة ...
وهكذا نجد أن أحدها يصبح بديناً، بينما الآخر يشد ما بقى من حزامه..

وهكذا نجد أن قوة العمل للعامل هي التي عملت يوما بعد يوم على تضخم رأس مال صاحب العمل. فالغني يزداد غنى والفقير، يقيناً، لا يزداد أجره (بل يعيش بصعوبة..).

وينقلب العالم كله رأساً على عقب!



وعلى هذا النحو اكتشف كارل أسس النظام الرأسمالي فى الصيغة الشهيرة لـ:

فائض القيمة..



وهو كذلك، دعنا نبدأ..
أن الصيغة الأساسية للرأسمالية في غاية البساطة. الشراء حتى تبيع من جديد من أجل الربح. وهذه الزيادة في قيمة المال المستخدم الناتج من الصفقة يسميها ماركس فائض القيمة.
ويسير استدلال ماركس على هذا النحو:
أن فائض القيمة لا يمكن أن يستمد من التبادل المحض للسلع، طالما أن ذلك التبادل لأشياء وبضائع متكافئة، يعني أن تبيع لتشتري بضائع أخرى.

كما أنه لا يمكن لفائض القيمة أن ينتج من ارتفاع الأسعار، طالما أن عملية الربح والخسارة المتبادلة بين البائع والمشتري تميل إلى التوازن.



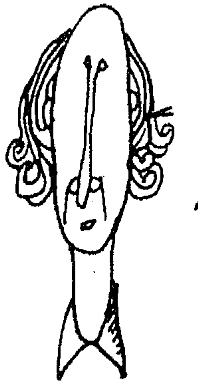
حسناً، إذن!

لكي تحصل على فائض القيمة (ربح فائق) ، فأن على مالك المال أن يقدم للسوق «سلعة» أخرى بالقيمة السائدة ذات خاصية عجيبة تجعلها مصدر قيمة.

يشتري الرجل الرأسمالي قوة عمل العامل كما لو كانت من أنواع المبيعات، ويجعلها تعمل ثماني ساعات في اليوم (في أيام ماركس كانت ساعات العمل من ١٢ إلى ١٥ ساعة في اليوم..).







وهذا الناتج الفائض أو الربح الإضافي لصاحب العمل هو فائض القيمة.

صاحب العمل، بفضل فائض القيمة، يصبح أكثر غنى في حين لا يحصل العامل على مليمٍ نظير ذلك.
صحيح أن بعض المال يُفترض أنه سيستخدم في تحسين ظروف العمل.. لكن الأصح أنه يذهب مباشرة إلى البنك!



ليزداد رأسمالي أكثر..

تلك هي مصيدة الرأسمالية في يومنا الراهن: زيادة ما ينتجه العامل وفاعليته، وكذلك زيادة فائض القيمة ... ولا شيء آخر يظهر في الإنتاج سوى طريقة لزيادة رأس المال صاحب العمل، وفقر جميع العمال.

لكن العامل يستطيع أن يقوم بهذا العمل، فلنقل في ست ساعات (الوقت الضروري للعمل). ناتج يكفي ليجعله يعيش.

في ست ساعات «ينتج راتبه»!



وفي الساعتين المتبقيتين يكون الناتج «سلعة» أخرى، ناتج «فائض» لا يمنحه صاحب العمل أي شيء في مقابله.



صحيح !!
اشرب!

ويؤكد البعض أن كل شيء يمكن حلّه عن طريق زيادة معقولة في المرتب

قد تظل الأجور الحقيقية كما هي، وحتى ربما ترتفع، ومع ذلك تسقط الأجور النسبية. دعنا نفترض مثلاً أن وسائل المعيشة انخفض سعرها إلى الثلثين في حين أن الأجور ـ أجر اليوم ـ إلى الثُلث فقط، أعني أنه انخفض مثلاً من ثلاث ماركات إلى ماركين. وعلى الرغم من أن العامل يستطيع أن يحصل على قدر من السلع بهذين الماركين أكبر مما كان يشتريه في السابق بثلاث ماركات، ومع ذلك فإن هذه الأجور قد انخفضت بالقياس إلى ربح الرجل الرأسمالي ـ فربح هذا الرجل (ولنقل صاحب المصنع) قد ازداد بمقدار مارك واحد أعني بمقدار ضئيل من تبادل القيمة التي يدفعها للعامل، ولابد لهذا الأخير أن ينتج قدراً من تبادل القيمة أكبر من ذي قبل، وتكون حصة الرجل الرأسمالي قد ازدادت بالنسبة لحصة العامل. أن قسمة الثروة الاجتماعية بين الرأسمالي والعامل قد أصبح غير متساو أكثر. وبنفس رأس المال يستطيع الرأسمالي والعامل قد أصبح غير متساو أكثر. وبنفس رأس المال يستطيع الرأسمالي أن يحصل على كمية أكبر من العمل. أن سلطة طبقة رأس المال على طبقة العمال قد نمت، وتدهور الوضع الاجتماعي للعامل. وانحطت درجة أدنى من وضع الرأسمالي فما هو إذن القانون العام الذي يحدد ارتفاع وانخفاض الأجور والأرباح في علاقتهما المتبادلة؟..

يرتبط الواحد منهما بالآخر بنسبة عكسية، حصة الرأسمالي، وربحه يرتفع بنفس النسبة التي ينخفض بها حصة العامل وأجره، والعكس صحيح. يرتفع الربح الذي تهبط به الأجور، ويهبط بالقدر الذي ترتفع به الأجور».
(ماركس الأجور ـ العمل ورأس المال).

ولا يوافق ماركس على ذلك
لأن: حسناً! فقط اقرأ ما كتب!



مما يعني أن صاحب العمل
لا يريد أبداً أن يخسر

خذ مثال البناء

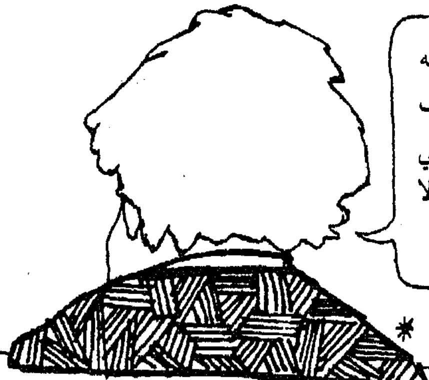


حسناً عندما يبني شقة في عمارة لن تسكنها أبداً،



ولن تجمع منها إيجاراً. لكنك تساعد فقط الطبقات التي تستغلك لتصبح أكثر ثراءً!

وحتى لو كسبت أكثر ـ الضعف مثلاً ـ فأن وضع العامل لن يتغير. وذلك ما يقوله ماركس بوضوح:ـ



مرتب أعلى وربح أعلى *



«.. يتألف بؤس العامل قبل كل شيء من واقعة أنه بعمله للنظام الرأسمالي فأنه يعيد انتاج رأس المال، وبإعادة انتاجه فهو أيضاً يزيد من اغترابه وبؤسه..».





ولم ير ماركس أمام العمال سوى مخرج واحد هو:



الاتحاد

حسناً! حسناً! خائن لاضراب العمال دعنا نعود إلى الوراء في التاريخ إلى الفترة التي شرع فيها ماركس نظرياته عن تحول المجتمع، وتحرر الفقراء من أغلالهم!



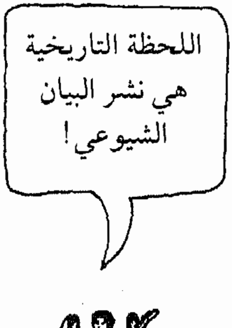
(ذهب، فضة، أو صفيح..)





Manifest der Kommunistischen Partei.

London.



غلاف «بيان الحزب الشيوعي» طبعة ١٨٤٨ .

صدر «البيان» بوصفه برنامج «عصبة للشيوعين» وهي رابطة للعمال. وكانت في بادىء الأمر ألمانية خالصة، ثم أصبحت عالمية. وكانت بالضرورة جمعية سرية بحكم الأوضاع السياسية في القارة قبل عام ١٨٤٨ . وفي مؤتمر للعصبة انعقد في لندن في شهر نوفمبر ١٨١٧ ، عُهدا إلى ماركس وانجلز بإعداد برنامج مفصل للحزب نظري وتطبيقي بقصد نشره. وقد كُتب النص في ألمانيا في يناير ١٨٤٨ . وأرسلت المخطوطة باللغة الألمانية إلى الناشر في لندن قبل ثورة الرابع والعشرين من فبراير في فرنسا ببضعة أسابيع «في باريس صدرت ترجمة فرنسية قبل انتفاضة يونيو ١٨٤٨ . وصدرت الترجمة الإنجليزية الأولى للآنسة هلين ماك فارلن في صحيفة «ريد ريبابكان» لصاحبها جورج هارني في لندن ١٨٥٠ كذلك صدرت ترجمة دانماركية وأخرى بولونية..

أما الترجمة الروسية الأولى التي قام بها باكونين، فقد أصدرتها دار «كولوكول» التابعة لهرتسن في جنيف جوالي عام ١٨٦٣ .

ورغم أن الظروف قد تبدلت كثيراً خلال السنوات الخمس والعشرين الأخيرة. فأن المبادىء العامة الورادة في هذا «البيان» لا تزال ، عموماً، محافظة حتى اليوم على كامل صحتها.



لو رجعنا إلى أيام (١٨٤٦ ـ ١٨٤٧) لوجدنا أن هناك جماعة قد تشكلت من العمال الألمان، والحرفيين والمثقفين الرواد (أي أصحاب الأفكار التقدمية) سمت نفسها «عصبة الرجل العادل» التي كانت تلتقي للتحدث في السياسة، وحافظت على أقوالها بكل رجل «عادل» في البلدان الأخرى.



كان «العادل» نصف فوضوي يعلم الناس صورة غريبة جداً من الاشتراكية: تدمير وسائل الإنتاج (ينسف المصنع مفضلاً أن يكون أصحابه فيه) ويعود إلى الزراعة وحرفة الحرفيين. ولقد دعى ماركس وانجلز عام ١٨٤٧ للانضمام إلى العصبة لإعادة تنظيمها!

وفي الحال نال ماركس وانجلز كل تعاطف من «العصبة» ، وبفضل نضجهما العقلي والسياسي كان لهما تأثير كبير على العصبة. فماركس الرجل الفظ كان يعرف كيف يأمر.



سؤال ١ : ما هي الشيوعية؟

جواب: الشيوعية هي متطلبات تحرر البروليتاريا.

سؤال ٢ : وما هي البروليتاريا..؟

جواب: البروليتاريا هي تلك الطبقة من المجتمع التي تعتمد في معيشتها تماما على بيع عملها. لا على الربح المستمد من رأس المال ـ التي يعتمد عسرها ويسرها حياتها وموتها، الذي يعتمد وجودها كله على صاحب العمل. أن البروليناريا أو طبقة البروليناريين هي باختصار طبقة العمال في القرن التاسع عشر.

سؤال ٣ : معنى ذلك أن البروليناريا لم توجد على الدوام؟

جواب: كلا! الشعب الفقير، والطبقات العامة موجودة على الدوام لكن مثل هذه الطبقة العاملة تعيش في ظروف أشرنا إليها من قبل، ومن هنا فأن البروليناريا لم تكن دائماً موجودة أكثر من الوجود الدائم للمنافسة الحرة مطلقة العنان.

سؤال ٤ : كيف نشأت البروليتاريا..؟

جواب: نشأت البروليتاريا في الثورة الصناعية التي حدثت في انجلترا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.. وكررت نفسها منذ ذلك اليوم في جميع الدول المتحضرة في العالم. ولقد وقعت هذه الثورة الصناعية عند اختراع الآلة البخارية، واختراع آلات متنوعة للنسيج، والنول، وعدد كبير من الآلات الميكانيكية الأخرى. غير أن هذه الآلات كانت باهظة الثمن فلم يقدرعلى اقتنائها سوى الموسرين. وإدخال هذه الالات غيّر تماما طريقة الإنتاج القائمة وأزاح العمال الموجودين وهذا راجع إلى أن الآلات يمكن أن تقدم بضائع أرخص وأفضل من انتاج العامل اليدوي بأنواله وأدوات نسيجه غير الكاملة. ومن هنا فأن هذه الآلات أسلمت الصناعة تماماً للرأسماليين الكبار وجعلت الملكية الصغيرة التي يملكها العمال (كالأنوال اليدوية، والأدوات... الخ). لا قيمة لها تماما. وسرعان ما أمسك الرأسماليون في أيديهم كل شيء، ولم يبق شيء للعمال.

الألمان أصحاب العقول الجامدة ظلوا كما هم. نظم ماركس وانجلز مؤتمراً في لندن عام ١٨٤٧ حضره مندوبون من جميع أنحاء أوربا.

هنا عرض انجلز مبادئه التي يؤمن بها على «لعصبة الشيوعيين» التي أصبحت أساساً للبيان الشيوعي (وعرفت باسم «مباديء الشيوعية» لعام ١٨٤٧).



ملحوظة:

هذا النوع من الموجز التعليمي الذي يسهل قراءته هو الذي جعل انجلز شعبياً ومحبوباً أكثر من ماركس . على الرغم من أن الأخير كان أكثر عمقاً وربما لذلك بدأ أشد عسراً للهضم..



سؤال ٧ : كيف يختلف البروليتاري عن العبد؟!

جواب: العبد يباع مرة واحدة وإلى الأبد في حين أن البروليتاري لابد أن يبيع نفسه بالساعة أو باليوم. وكل عبد عبارة عن ملكية مباشرة لسيد يؤمن وجوده حتى ولو كان وجوداً بائساً، ولمصلحة مالك العبد. أما الفرد البروليتاري فأن ملكيته لصالح الطبقة البرجوازية كلها. حيث يباع عمله فقط عندما تحتاج إليه الطبقة المالكة، وليس له ضمان للحياة. فالوجود تضمنه فقط الطبقة العاملة ككل. والعبد مستبعد من المنافسة. أما البروليتاري فتكتنفه المنافسة وهو فريسة لتقلباتها. يُعد العبد شيئاً وليس عضواً في المجتمع المدني في حين أن البروليتاري يحسب عضواً في المجتمع المدني. وعلى ذلك فأن العبد يمكن أن يضمن لنفسه ظروفاً أفضل للحياة مما يستطيع البروليتاري. غير أن البروليتاري ينتمي إلى مرحلة أعلى ـ في تطور المجتمع ـ من العبد. لقد حرر العبد نفسه بأن قطع كل علاقات الملكية الخاصة، فيما عداه علاقة واحدة هي علاقة العبودية . وبهذا العمل أصبح هو نفسه بروليتارياً. والبروليتاري لا يستطيع أن يحقق التحرر بإلغاء الملكية الخاصة بأسرها.

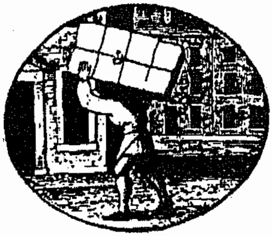


سؤال ١٦ : هل يمكن الوصول إلى إلغاء الملكية الخاصة بالطرق السلمية؟!

جواب: هذا مرغوب فيه بشدة. وسوف يكون الشيوعيون آخر من يقف في العالم كله في وجه الحلول السلمية. الشيوعيون يعرفون جيداً جداً خصوبة الطرق التآمرية ويعرفون تماماً أن الثورات تصنع عن عمد بطريقة تعسفية. لكن الثورات في كل مكان، وفي كل وقت، كانت المحصلة الضرورية للظروف مستقلة تماما عند إرادة وتوجيه الأحزاب الجزئية، والبروليتاريا تقريباً في كل البلاد المتحضرة مكبوتة بعنف. وأن خصوم الشيوعية بهذه الطريقة يعملون بكل قوة لحدوث الثورة. أينبغي أن تنقاد البروليتاريا المقهورة في نهاية الأمر إلى الثورة، عندما نتحالف نحن الشيوعيين مع قضية العمال ونصبح من الدوافع على العمل كما تقول الآن.

سؤال ١٧ : هل سيكون من الممكن إلغاء الملكية الخاصة كلها مرة واحدة؟

جواب: كلا! ذلك سيكون مستحيلاً استحالة أن نقترب جميع قوى الإنتاج الموجودة في الحال إلى الدرجة الضرورية لبداية جديدة في المجتمع. أن ثورة البروليتاريا التي من المرجح جداً أنها قادمة ـ سوف تكون لهذا السبب قادرة على تحويل المجتمع الحالي بالتدريج. ولن تلغي الملكية الخاصة إلا عندما تكون وسائل الإنتاج متاحة بكميات كافية.





خلفت الصناعة الحديثة السوق العالمي، الذي مهدّ له الطريق اكتشاف أمريكا. هذا السوق أدى إلى تطو رهائل للتجارة؛ والملاحة، وتقدم المواصلات البرية بصورة هائلة، ثم عاد هذا التوسع فأثر بدوره في مجرى الصناعة وكلما كانت الصناعة، والتجارة، والملاحة، والسكك الحديدية تنمو وتتعاظم ويتضاعف رأسمالها وتدفع إلى الوراء جميع الطبقات التي خلفتها القرون الوسطى.

وهكذا نجد أن البرجوازية الحديثة هي نفسها نتيجة تطور طويل وسلسلة من الثورات في أساليب الانتاج والتبادل.

وحينما استولت البرجوازية على السلطة سحقت تحت أقدامها جميع العلاقات الإقطاعية، والبطريركية، والعاطفية، وحطمت دون رأفة جميع الصلات المزخرفة التي كانت في عهد الإقطاع تربط الإنسان «بأسياده الطبيعيين» ولم تبق على صلة بين الإنسان والإنسان إلا صلة المصلحة الجافة، والدفع الجاف «عداً ونقداً». وأغرقت الحمية الدينية وحماسة الفرسان ورقة البرجوازية الصغيرة في المياه الجليدية المشبعة بالأنانية. وجعلت من الكرامة الشخصية مجرد قيمة تبادل لا أقل ولا أكثر. وقضت على الحريات الجمة. المكتسبة والممنوحة، وأحلت محلها حرية التجارة وحدها. هذه الحرية القاسية التي لا ترحم. فهي باختصار استعاضت عن الاستغلال الذي كان يختفي وراء الأوهام الدينية والسياسية ـ باستغلال مكشوف عار مباشرة لا يخجل. استغلال وحشي. ومزقت البرجوازية الغلالة العاطفية، التي كانت مسدولة على الأسرة، وأحالتها إلى علاقة مالية صرف.

وخلقت البرجوازية منذ تسلطها الذي لم يكن تمضي عليه قرن واحد قوى منتجة تفوق



ما تملك هو
ما تستحق!

في عددها وعظمتها كل ما صنعته الأجيال السالفة مجتمعة. فأن اخضاع قوى الطبيعة، واستخدام الآلات، وتطبيق الكيمياء في الصناعة والزراعة، ثم الملاحة التجارية والسكك الحديدية، والتلغراف الكهربائي. وهذه القارات جميعاً التي كانت بوراً فأخصبت، وهذه الأنهار والترع التي أصلحت وراحت البواخر تمخر عبابها، وهذه الشعوب التي كأنما قذفتها من بطن الأرض قوة سحرية ـ أي عصر سالف، وأي جيل مضى كان يحلم بأن مثل هذه القوى المنتجة العظيمة كامنة في قلب العمل الاجتماعي؟!

الواقع أن «البيان» دمج لأفكار ماركس مكتوبة بأسلوب غني حيوي مباشر!

اقرأه وأنت تعرف.. بنفسك!..



لقد اقتبسنا أجزاء منه فحسب وإلا فسوف يستغرق ١/٢ الكتاب..

ونتيجة الاتساع في استعمال الآلات وتقسيم العمل، فَقَد عمل البروليتاريا كل طابع شخصي. وأضاع بذلك سحر وفتنة العامل، وأصبح العامل مجرد ملحق بسيطر للآلة. لا يطلب منه إلا القيام بعملية بسيط رتيبة سهلة التلقين. وبذلك أصبح ما يكلفه العامل اليوم هو تقريباً ما تكلفه وسائل المعيشة اللازمة للاحتفاظ بحياته وتخليد نوعه. إلا أن ثمن العمل، كثمن كل بضاعة يساوي تكاليف انتاجه. إذن كلما أصبح العمل باعثاً على الأشمئزاز، هبطت الأجور.



لكن الأم العجوز في التلفزيون لم تظهر بعد لكي تدغدغ مشاعرنا قبل الذهاب إلى النوم!

لقد حولت الصناعة الحديثة ورشة السيد البطرباركي الحرفي الصغير إلى مصنع كبير للرجل الرأسمالي الصناعي. وأخذت جماهير العمال المكدسة في هذا المصنع يخضعون لتنظيم شبيه بالتنظيم العسكري فهم جنود الصناعة البسطاء الخاضعون لسلسلة كاملة من كبار الضباط وصغارهم كأنهم في جيش عسكري. وهم ليسوا عبيدا لطبقة البرجوازية والدولة البرجوازية فحسب، بل هم في كل يوم، وفي كل ساعة عبيد للآلة. وللمراقب، وللبرجوازي صاحب العمل نفسه بوجه خاص - وكلما تبيّن بصراحة أن الربح هوالهدف الوحيد لكل هذا الاستبداد، ازداد هذا الاستبداد بشاعة وقبحاً وإثارة للسخط والحفيظة.

وكلما قلّ نطلب العمل اليدوي المهارة والقوة، أي كلما تركتها الصناعة الحديثة استعيض من عمل الرجل بعمل النساء والأطفال. ولا تبقى للفروق في الجنس أو السن أية أهمية اجتماعية بالنسبة للطبقة العاملة، فليس ثمة سوى أدوات للعمل تتغير كلفتها حسب السن والجنس.

وما أن ينتهي العامل من معاناة استغلال صاحب المصنع، وحسب له أجرته، حتى يصبح فريسة لعناصر أخرى من البرجوازية: مالك البيت، وبائع التجزئة، والمرابي ... الخ..

إلا أن الصناعة عندما تتقدم وتنمو، لا تضخم عدد البروليتاريا فيها، بل تمركزهم أيضاً وتضعهم في جماهير أوسع وأعظم، فتنمو قدرتهم ويدركون مدى هذه القوة وتتساوى يوما فيوماً مصالح البروليتاريا وظروف معيشتهم، تبعاً لما تقوم به الآلة من محو كل فرق في العمل ومن تخفيض للأجور في كل مكان تقريباً إلى مستوى متماثل في انخفاضه. ونظراً لنمو التزاحم فيما بين البراجوازيين، وما ينتج عن ذلك من الأزمات التجارية، تصبح أجور العمال يوماً بعد يوم أكثر تقلباً وأقل استقراراً. ويؤدي استمرار الاتقان في صنع الآلات بسرعة متزايدة على الدوام إلى جعل حالة العمال أكثر فأكثر عديمة الاستقرار، غير أن مضمونة. وتصطبغ المصادمات الفردية بين العامل والبرجوازي، شيئاً فشيئاً، بصيغة المصادمات بين طبقتين. ويبدأ العمال في تأليف الجمعيات ضد البرجوازيين من أجل الدفاع عن أجورهم. ويتقدمون في هذا السبيل ويؤلفون جمعيات دائمة لكي يؤمنوا وسائل العيش لأنفسهم عندما تقع المصادمات؛ ويتفجر النضال هنا وهناك على شكل انتفاضة.

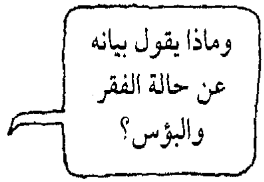
.. وإليك كيف صاغ
ماركس صراع
الطبقات...



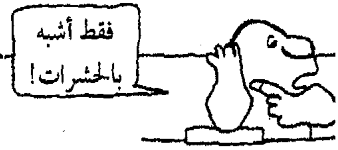
وقد ينتصر العمال أحياناً، ولكن انتصارهم يكون قليل الأمد. والنتيجة الحقيقية لنضالهم هي هذا التضامن المتعاظم بين جميع العمال، لا ذلك النجاح المباشر الوقتي. وما يسهل تقدم هذا التضامن واشتداده هو نمو وسائل المواصلات التي تخلقها الصناعات الكبرى والتي تسمح للعمال، في مختلف الجهات والمناطق، بأن يتصل بعضهم ببعض. ويكفي هذا الاتصال بين العمال لتحويل النضالات المحلية المتعددة ذات الصبغة المتماثلة في كل مكان إلى نضال طبقي واحد يشمل القطر بأسره. غير أن كل نضال طبقي هو نضال سياسي، والاتحاد الذي كان سكان المدن في العصور الوسطى يقضون قرونا، لتحقيقه نظراً لظروفهم البدائية الوعرة، تحققه البروليتاريا الحديثة خلال بضع سنين فقط بفضل السكك الحديدية.

غير أن تنظيم البروليتاريا في طبقة ـ وبالتالي في حزب سياسي ـ يحطمه بصورة مستمرة تزاحم العمال فيما بينهم. لكن هذا التنظيم لا يختفي حتى يعود فيولد من جديد، وهو دائماً أشد قوة وأكثر صلابة وأقوى بأساً، ويستفيد من انقسامات البرجوازيين فيما بينهم، فيجرهم على جعل بعض مصالح الطبقة العاملة مشروعة معترفاً بها قانوناً، مثل قانون جعل مدة العمل اليومي عشر ساعات في انجلترا!.





وليس بين جميع الطبقات التي تقف الآن أمام البرجوازية وجها لوجه إلا طبقة واحدة ثورية حقاً، هي البروليتاريا. ذلك لأن جميع الطبقات الأخرى تنحط وتهلك مع نمو الصناعة الكبرى. أما البروليتاريا فهي على العكس من ذلك، أخص منتجات هذه الصناعة.
أن الفئات المتوسطة. من صغار الحرفيين وباعة التجزئة والفلاحين تحارب البرجوازية من أجل الحفاظ على وجودها بوصفها فئات متوسطة؛ فهي ليست إذن ثورية، بل محافظة وأكثر من محافظة، أنها رجعية، فهي تطلب أن يرجع التاريخ القهقري وتسير عجلة التطور إلى الوراء. وإذا كنا نراها تقوم بأعمال ثورية، فما ذاك إلا لخوفها من أن تتدهور إلى صفوف البروليتاريا، وهي إذ ذاك تدافع عن مصالحها المقبلة لا عن مصالحها الحالية، وهي تتخلى عن وجهة نظرها الخاصة لتتخذ لنفسها وجهة نظر البروليتاريا.
أما رعاع المدن ـ «هذه الطبقة الخطرة» ـ حثالة المجتمع القديم هذه الحشرات، فقد تجرهم ثورة البروليتاريا إلى الحركة، ولكن ظروف معيشتهم وأوضاع حياتهم تجعلهم أكثر استعداداً لبيع أنفسهم إلى المكائد الرجعية.





لقد خضعت جميع علاقات الملكية الماضية لتغيرات تاريخيـة متتابعة ومستمرة. تبعـاً لتغير الأوضاع التاريخية.

فالثورة الفرنسية ، مثلاً، قضت على الملكية بصورة عامة بل هي إلغاء الملكية البرجوازية.

غير أن الملكية الخاصة في الوقت الحاضر أي أن الملكية البرجوازية هي آخر وأكمل تعبير عن أسلوب الإنتاج والتملك، المبني على تناقضات الطبقات واستغلال فئة قليلة من الناس لعدد كبير منهم.

وبهذا المعنى فأن النظرية الشيوعية يمكن تلخيصها في هذه الصيغة الوحيدة وهي: القضاء على الملكية الخاصة.

ويأخذون علينا، نحن الشيـوعيين، أننا نريد إلغاء الملكية المكتـسبة شخصيـاً بالعمل، هذه الملكية التي يصرحون أنها أساس كل حرية وكل نشاط وكل استقلال فردي.

الملكية، ثمرة العمل والكفاءة! هل يعنون بذلك هذا الشكل من الملـكية، السابق للملكيـة البرجوازية، أو ملكية البرجوازي الصغير والفلاح الصغير؟ إن كانت هذه هي الملكية التي يعنونها فليس لنا، نحن الشيوعيين، أن نمحوها ونزيلها، لأن رقي الصناعة قد محاها أو يمحوها يوماً بعد يوم.

أم تراهم يعنون المـلكيـة الخـاصـة البـرجـوازية الحـاليـة؟ ولكن هل يخلق الـعـمل المأجـور ملكيـة البروليتـاري؟ كلا! بل هو يخلق رأس المال، أي الملكية التي تـستغـل العمل المأجور والتي لا يمكن أن تنمو إلا بشرط أن تنتج أيضاً ـ وأيضاً عملاً مأجوراً لكي تستغله من جديد. فالملكية في شكلها الحالي تتحرك بين الطرفين المتناقضين: رأس المال والعمل المأجور: فلنبحث كلاً من طرفي هذا التناقض.

يروعكم أننا نريد محو الملكية الخاصة! لكن في مجتمعكم هذا ذاته تسعة أعشار أعضائه محرومون من أية ملكية خاصة. وإذا كانت هذه الملكية موجودة ، فلأن هؤلاء الأعشار التسعة محرومة منها. فأنتم تأخذون علينا أننا نريدمحو شكل للملكية، شرط وجوده أن تكون الأكثرية الساحقة محرومة من كل ملكية.

«لكن العالم عندئذ سيتحول إلى دمار وخراب» هكذا يقولون..

باختصار تتهمونا بأننا نريد محو ملكيتكم أنتم، وحقاً هذا ما نريد.. فمنذ اللحظة التي يغدو من المستحيل أن يتحول العمل إلى رأسمال ونقد وريع عقاري. أي إلى قوة اجتماعية قابلة للاحتكار، أو بعبارة أخرى، ما أن يصبح من المستحيل أن تتحول الملكية الفردية إلى ملكية برجوازية، حتى تزأرون وتصيحون بأن الفرد قد امحى وأبيد.

فأنتم تعترفون أذن أنكم عندما تتكلمون عن الفرد، لا تعنون بكلامهم إلا البرجوازي أي المالك البرجوازي أو بالعقل أن هذا الفرد يجب أن يباد ويمحى نهائياً



رأس المال يحتاج إلى عمال، لكن العمال لا يحتاجون إلى رأس مال، فهم يعتمدون على سواعدهم.

ويعترضون علينا بقولهم ، أن محو الملكية الخاصة يؤدي إلى توقف كل نشاط وانتشار كسل يعم العالم بأسره.

ولو كان ذلك صحيحاً، لكان المجتمع البرجوازي قد سقط منذ أمد طويل في بؤرة الكسل والخمول، ما دام الذين يعملون في هذا المجتمع لا يمتلكون، والذين يمتلكون لا يعملون. وهكذا يؤول كل اعتراضهم إلى تكرار ممل للحقيقة التالية وهي: حيث لا يبقى الرأسمال لا يبقى عمل مأجور.

آه! بالطبع فـيه فـقـد كان مـاركس
أول مَنْ أدان اسـتـغـلال النسـاء في
البيان في كلمات لا شك فيها!



ليس في هذا
البيان شيئاً
سوى السياسة!



من فضلك
اهدأ وواصل
القراءة.



يرى البرجوازي زوجـته مجرد أداة للإنتاج . وهو يـسمع أن أدوات الانتاج يجب أن تكون مشتركة، فيستنتج من ذلك بالطبع أن النساء أنفسهن سوف يسري عليهن ذلك.
ولا يدخل فى ذهن البـرجوازي أن المسـألة هي على العكس تمامـا، وأننا نريد إعطاء المرأة دوراً غير هذ الدور الذي تقوم به الآن كأداة انتاج بسـيطة.
ولشد مـا يضحكنا هذا الذعر فـوق الأخلاقى الذي توجيـه إلى البرجوازي شـيوعي النساء الرسمية التي يزعمون أن الشيوعيين يدعون إليها. ليست بالشيوعية حاجة إلى إدخال إشاعة النساء، فهي تقريباً كانت دائماً موجودة.

ولا يكتفي البرجوازيون أن تكون تحت تصرفهم نساء البروليتاريا وبناتهم ـ هذا عدا البغاء الرسمي ـ بل يجدون لذة خاصة في أغواء بعضهم نساء بعض.
ليس الزواج البرجوازي في الحقيقة سوى شيوعية النساء المتزوجات، فقصارى ما يمكن أن يتهم به الشيوعيون إذن هو أنهم يريدون كما يزعم، الاستعاضة عن شيوعية النساء المستترة بالرياء والمغطاة بالمداجاة، بإشاعة صريحة ورسمية. ولكن من البديهي أن محوعلاقات الانتاج الحالية، يؤدي بطبيعة الحال، إلى محو شيوعية النساء التي تنتج عنه، أي أن البغاء سواء أكان رسمياً أم غير رسمي يزول ويضمحل..



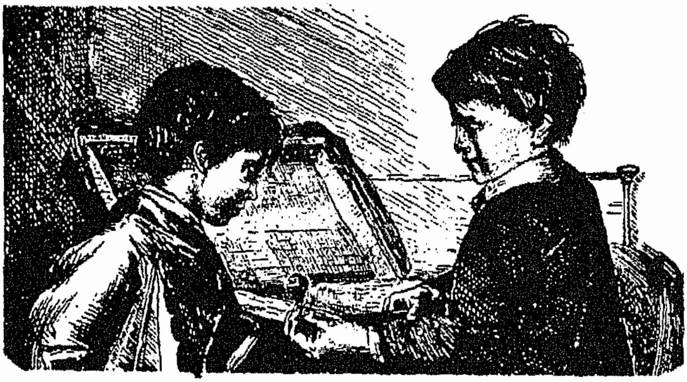
غير أن الموقف يختلف مع الأسرة البطرياركية، بل أكثر من الأسرة الفردية التي تأخذ بالزواج الواحدي. وتفقد إدارة المنزل طابعها العام، فلم تعد تهم المجتمع، بل تصبح خدمة خاصة . وتغدو الزوجة أول خادمة في المنزل وتُدفع للمشاركة في الانتاج الاجتماعي. الصناعة الحديثة على نطاق واسع هي وحدها التي فتحت لها الباب على مصراعيه ـ أمام المرأة البروليتارية وحدها للانتاج الاجتماعي ـ بتلك الطريقة التي تجعلها تؤدي واجباتها المنزلية في خدمة أسرتها الخاصة. تظل مستبعدة من الانتاج العام ولا تستطيع أن تكسب أي شيء، وعندما ترغب في القيام بدور في الصناعة العامة وأن تكسب قوتها على نحو مستقبل، تكون في موقف لا يجعلها تؤدي واجباتها الأسرية. وما ينطبق على المرأة في المصنع ينطبق عليها في أية وظيفة أخرى، حتى الطب والقانون. وتقوم الأسرة الحديثة على استعباد للمرأة مقنع وصريح. ويتألف المجتمع الحديث من أسر فردية تعتبر ذرات له. واليوم نجد أن الرجل في الغالبية العظمى مَنَ الحالات هو الذي يربح ويكسب وهو الذي يجلب الخبز للأسرة، على الأقل في الطبقات ذات الملكية، ويعطيه ذلك موقع السيطرة والسيادة التي لا تحتاج إلى مميزات قانونية خاصة فهو في الأسرة الرجل البرجوازي في حين أن المرأة هي البروليتاريا.



الرؤية النبوية لماركس
مدهشة للغاية! وهذا
هو السبب في أن هذه
الكتابات لم تصبح
قديمة العهد!

لكن دعنا نستمر
مع البيان!

عجايب!
هل كتب ذلك عام ١٨٤٨
أم اليوم؟



أن الخطوة الأولى في ثورة العمال ، كما رأينا هي تحول البروليتاريا إلى طبقة مسيطرة والظفر بالديمقراطية.

وسوف تستخدم البروليتاريا سيادتها السياسية لأجل انتزاع رأس المال من البرجوازية شيئاً فشيئاً، ومركزه جميع أدوات الانتاج في أيدي الدولة ، أي في أيدي البروليتاريا المنظمة في طبقة حاكمة، وزيادة كمية القوى المنتجة، وانمائها بأسرع ما يمكن.

ولا يتم ذلك، بالطبع، في بداية الأمر بانتزاع حق التملك وعلاقات الانتاج البرجوازية، بالشدة والعنف، أي باتخاذ تدابير تتراءى من الوجهة الاقتصادية غير كافية ولا مأمونة البقاء. ولكنها تتعاظم وتتجاوز نفسها بنفسها خلال الحركة، وتكون ضرورية لا غنى عنها كوسيلة لقلب أسلوب الإنتاج بأسره.

وسوف تختلف هذه التدابير بالطبع مع مختلف الدول.



في استطاعتك أن ترى أسفل الصفحة أول برنامج عملي لبناء الاشتراكية.
وإذا قارنت بينها وبين الواقع اليوم يتضح شيئين:ـ
(١) تأثير ماركس في كل مكان في العالم.
(٢) البلدان اليوم (بعد ١٢٠ سنة) التي لم تطبق بعد هذا البرنامج (ولا تتنبأ بأنها ستفعل ذلك) حتى هذا الحد الأدنى والبرنامج الناقص.

غير أنه يمكن تطبيق هذه التدابير التالية بصفة عامة. تقريباً في أكثر البلاد تقدماً ورقياً:
(١) نزع الملكية العقارية وتخصيص الريع العقاري لتغطية نفقات الدولة.
(٢) فرض ضرائب على الداخل تتصاعد للغاية مع تصاعد الدخل.
(٣) إلغاء كل حق في الميراث.
(٤) مصادرة أملاك جميع المهاجرين والعصاة المتمردين.
(٥) مركزة التسليف كله في يد الدولة بواسطة مصرف وطني رأسماله للدولة، ويتمتع باحتكار تام مطلق.
(٦) تمركز جميع وسائل النقل في أيدي الدولة.
(٧) الإكثار من المصانع التابعة للدولة وأدوات الانتاج، وإصلاح الأراضي البور وتحسين الأراضي المزروعة حسب منهج عام.
(٨) جعل العمل إجبارياً للجميع على السواء وتنظيم جيوش صناعية، وذلك من أجل الزراعة على وجه الخصوص.
(٩) الجمع بين العمل الزراعي والصناعي، واتخاذ التدابير المؤدية تدريجياً إلي محو الفروق بين المدينة والريف.
(١٠) جعل التربية عامة ومجانية لجميع الأولاد، ومنع تشغيل الأحداث في المصانع كما يجري اليوم والتوفيق بين التربية وبين الانتاج المادي... الخ.

لقد برهن السيدكارل ماركس (أو باسمه المستعار «الرجل الفظ») على أن الرأسمالية عاجزة عن حل مشكلات الإنسان، وما دام النظام يتطور فسوف يسير كل شيء من سيء إلى أسوأ.. أمبراوطرية منهارة تنتشر كالطاعون في كل مكان...

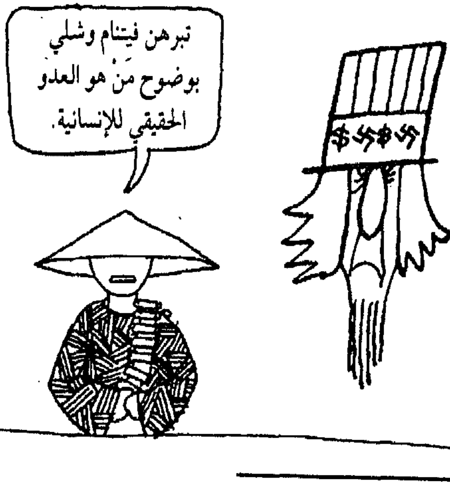


لماذا يحدث ذلك ؟!

ألم يستطيع ماركس أن يجعلها أبسط، فجميع النظم تحمل بذور تدميرية لحرب الطبقات سوف تختلي في النهاية ـ لكنها قبل أن تذهب فأنها تدافع عن نفسها حتى الموت كالحيوان أن المتوحش الجريح، حتى يظهر المذهب الواحد فيوجه الضربة القاضية.



أزمات أمبراطورة اليانكي[1] الصراع من أجل الاشتراكية: في فيتنام، وكوبا، وشلتر، وأفريقيا والانقسام داخل الكنيسة. وكل حركة تحررية هي كلها علامات على الصراعات الأخيرة للرأسمالية لتجنب أن تمحي من فوق ظهر الأرض.



(١) اليانكي هو اسم يطلق أحياناً، بشيء من السخرية على الرجل الأمريكي (المترجم).

لتد برهنت الرأسمالية نفسها علي عجزها عن حل مشكلات الناس الذين يعيشون في ظلها (دع عنك مشكلات الإنسان بصفة عامة) وهي فى طريقها إلي أزمة نهائية وإلي انهيار نهائي.



هدف نظرية ماركس :

المـــاديـــة التـــاريخــيــة

هو أن يظهرنا علي أن التاريخ من صنع الإنسان لا المصير والقدر ولا ما يسمي «يد الله»..

التاريخ



ليست البشرية بحاجة ـ في رأي ماركس ـ إلي مساعدات «خارجية» لاختراع وسائلها ملاك يهبط من السماء ليعلم الإنسان كيف يصنع المحراث والعجلات».

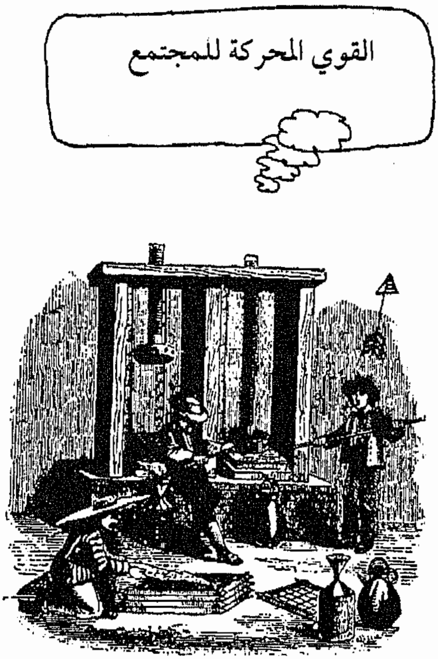


كل جيل يفكر ليخلق وبالتدريج سوف تظهر أدوات كاملة ! عن طريق العمل ـ لا الروح القدس ! (حتي إذا لم يكن جميع المخترعين ملاحدة !).

غير أن الأدوات لاتستطيع أن تعمل بنفسها !

بل لابد أن يبذل الناس الجهد ليحافظوا عليها وهي تعمل .

هذه وسائل الانتاج ، الناس سوف ينتجون بها أشياء هي ما يسميه ماركس..



لكن لا شيء ينتج في عـزلة ، فالعمل البـشري دائماً يحمـل طابعًا اجتمـاعياً، والمجـتمع يشكل من أناس تساعـد فى الانتاج لمواجهـة الحيوانات المتوحـشة للحصـول علي نتائج أفضل من العمل.



لقد التبس علينا الأمر..

هنا الـعـلاقـات التي يقـيـمهـا الناس خـلال عملية للانتاج يسـميـها ماركس.

علاقات الانتاج بالضبط

لأن هذا هو مـا حدث في النهـاية. انضمت قـوي الملاك لاعتصار الانتاج من غير الملاك (أعني أولئك الذين لا يملكون شيئًا سوي قوة عملهم).



(ويبّين لنا ذلك السبب في نشـأة الطبقات الاجـتمـاعـية، وكـيف تظهـر العلاقـات الاجتماعيـة الدقيقة بينهم : أحد الطرفين يستغِل والآخر يُستغل...).

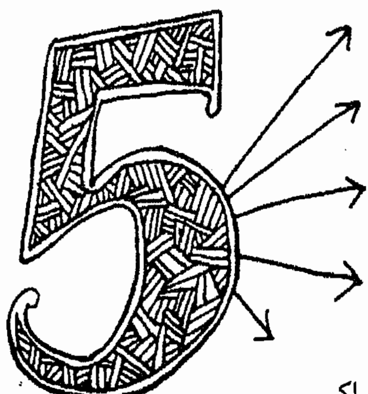
توحيد «قوي الانتاج» (أو وحدات الانتاج) وعلاقات الانتاج يعّرفها ماركس علي أنها مفهوم:

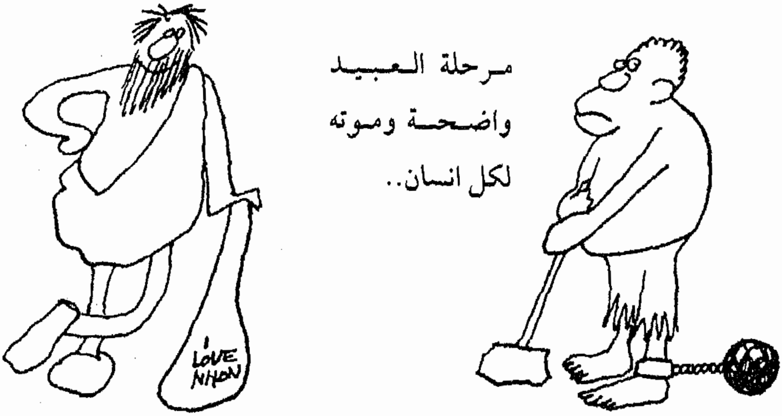
أسلـــــــوب الانتاج



والواقع أن ماركس يقول
يصبح التاريخ تاريخا
لنمط أو أسلوب الانتاج

ليس التاريخ هو حياة ومغامرات الملوك والنبلاء ورجال الدين ومَنْ إليهم وانما هو يكشف عن مراحل متتابعة من الانماط المختلفة من الانتاج التي تنتصر بها البشرية علي قوي الطبيعة.
ويميز ماركس بين خمسة أنظمة أو أساليب للانتاج هي:





النظام الذي نحاول الان تفسيره..

نظام الاقطاع

علي أمل أن يفهمه كل إنسان!

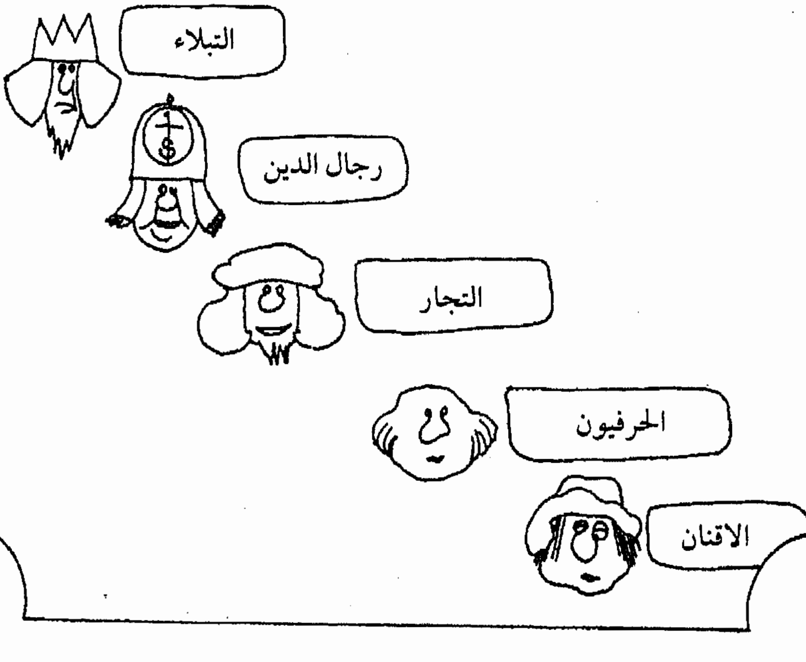


مصطلح الاقطاع feudalism مشتقة من الكلمة اللاتينية «اقطاعية Feudum وهي قطع الأرض التي قسمها الملك بين النبلاء في مقابل دعمهم له..(Feudum اقطاعية).

أن أولئك الذين يعيشون علي هذه الأرض لهم الحق في الزعم بقطعة من الأرض غير أن عملهم يذهب الي السيد الاقطاعي الذي يدفعون له الضرائب التى يستخدمها في الحرب كلما شاء . وبالمناسبة عندما أقول «الملك» ففي استطاعتك أن تقرأها «البابا» ذلك لأن كنيسة المسيح كانت نظاما اقطاعياً ايضاً كأي نظام (بل ربما أسوأ ..!).



تُري الطبقات الاجتماعية داخل النظام الاقطاعي من القمة الي القاع علي النحو التالي.





ومع مرور الزمن نما التجار وأصحاب الحرف من حيث العدد والقوة.

وبدأوا يستهينون بعبء النير المفروض عليهم من جانب النبلاء ورجال الدين . واستيقظ المثقفون أولاً وجلبوا معهم إلي ضوء النهار أفكاراً جديدة، فقد ولدت طبقة جديدة هي:

البرجوازية



وهكذا بدأت التجارة تغير شكل الانتاج.. فالبرجوازية تحتاج إلي أسواق أكبر وحرة إلي فكر تعرض فيها السلع المنتجة في مصانعها . وبدأت تنفتح شهيتها للأرباح في مقابل نمط الانتاج الاقطاعي المحدود.. وقد استدعي ذلك سلسلة من:

الثورات

البرجوازية ضد الملوك والكنيسة مما أدي إلي ظهور «أسلوب جديد للإنتاج».

الرأسمالية



لقد كـانت الثورة الفـرنسيـة منذ البداية حـركة تحررية.

<u>- تحرر من ماذا؟</u>

من سلطة الملك والكنيسة.

<u>- ولماذا ؟</u>

- للدفاع عن الملكية الخاصة والمشروعات الحرة.

<u>- ولمصلحة مَنْ؟</u>

لمصلحــة البـرجــوازية : أعني الأغنيــاء الذين يريدون حـركة لكسب المزيد من المال و الحـرية للاقنان ليشتروا عملهم بحرية.

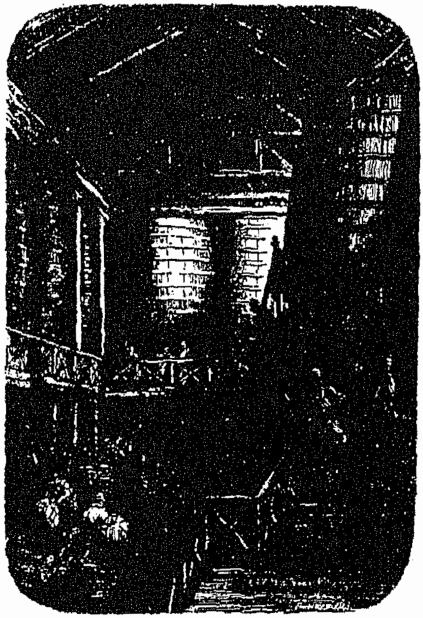
لقد كانت الثورة الفرنسية صراعاً عاماً للطبقات، معركة اشترك فيها كل فرد ضد العدو المشترك: النبلاء ورجال الدين.

مـا أن انهـزمت هذه الطبـقـات حـتي ذهبت قـوتها إلي الطـبقـة الصاعـدة : البرجوازية .

ولقـد خـرج الفـلاحـون مـنهـا بشئ : امـتلاك أراضـيهم . غـيـر أن العمـال الأقنان لـم يستفيـدوا منها بشيء سوى الحرية فى استبدال السادة!.



أعقب الثورة البرجوازية (او الفرنسية : نفس الشيء) ثورة أخـري وهي الثورة الصناعية فقد اخترعت البشرية الآلات التي حلّت محل الحرف اليدوية . ولقد عمل ذلك علي تنوير الانتاج تمامًا..



وظهور الآلة التي تنتج بضائع علي المسرح جلب معه طبقتين اجتماعيتين جديدتين.

- طبقة الرأسماليين أو ملاك الآلات.

- وطبقة العمال أو الشغيلة المرتبطة بهذه الآلات الجهنمية. وظهر مع الآلة نمط جديد للآنتاج يسميه ماركس.

الرأسمالية

وهكذا لم يعد العامل عبداً للسيد الاقطاعي . وإنما هو مواطن حرّ (حر في أن يبيع نفسه لأعلي ثمن).





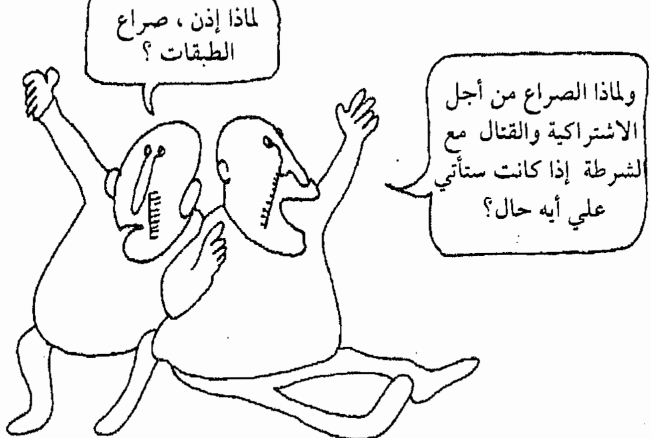
النظام الاجتماعي

نظرية ماركس عن صراع الطبقات الحتمي والتاريخي ضربت الرأسمالية تحت الحزام . إذ يقول ماركس أنه آجلاً أو عاجلاً سوف تضطر الرأسمالية إلي التراجع أمام نظام جديد أكثر انصافاً..

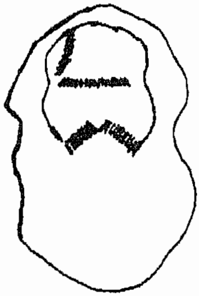


(١) «هيبي Hippie معتنق الحركة الشبابية التي ظهرت في الستينات وكان أساسها استنكار النظم الاجتماعية والدعوة إلي السلام والمحبة بين الناس. (المترجم)

ويبين لنا ماركس كيف تحـدد قوانين التاريخ ضرورة اعتصـار أساليب الانتاج : من الأسلوب البـدائي إلي الرق ، إلي النظام الاقطاعي إلي الـنظام الرأسمـالي . الذي أدي (ومازال يؤدي) بالكثيرين لأن يسألوا أنفسهـم:



ويجيب ماركس



لأن الناس يـصنعـون التـاريخ وليس ثمة طريقة أخري.
والتـاريخ لايفـعل شيـئـاً ، فهـو لايقوم بأي صراع.
سوف يحاول الرجـل الرأسمالي مـقـاومـة انهـيـاره مما يؤدي إلي دمـاره والتناقـضـات الداخليـة للنظام الرأسـمـالي . لكن فـقـط بسـبب أن غـريمها يـتطور في استقـلال عن ارادة الرأسمالي ـ وأعني به البروليتاري.



كان ماركس يعلم تمام العلم أن أرادة الغني لن تتنازل عن ثروتها وامتيازاتها بمحض اختيارها.







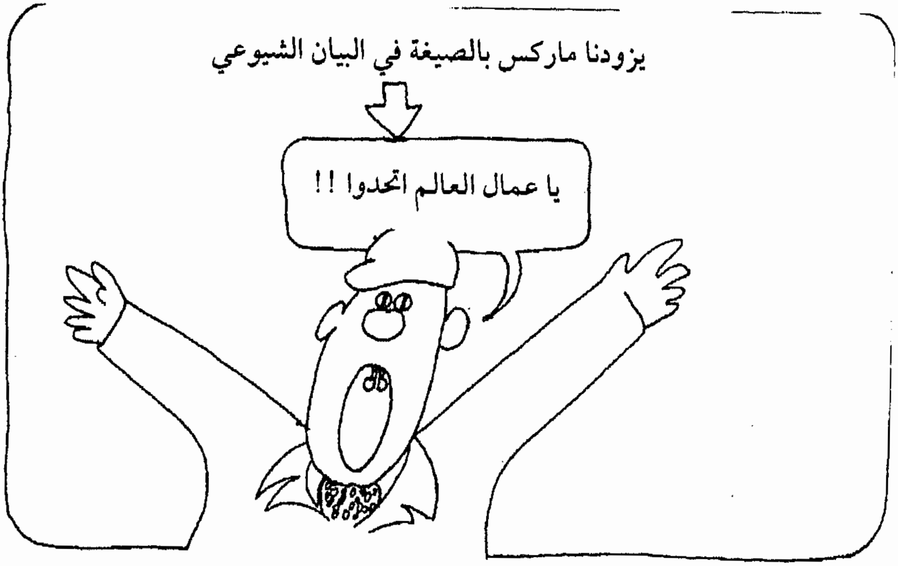
كيف؟

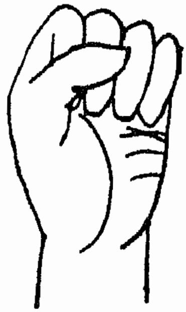


حسناً لو أراد أحد أن يعرف حقًا بما في ذلك هذا الروسي البدين . . . ـ فإن ماركس يشرح ترددا تحول المجتمع الرأسمالي إلي مجتمع اشتراكي : نزع الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج لكي توضع تحت إدارة الدولة والحكومة.. أي الاستلاء علي السلطة.

ـ لكن كيف يستطيع العمال الاستيلاء علي السلطة ؟؟



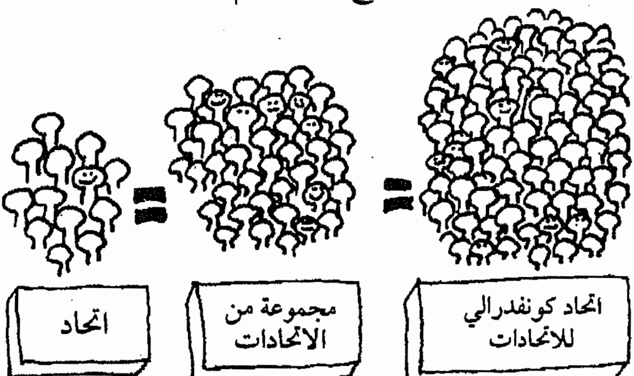


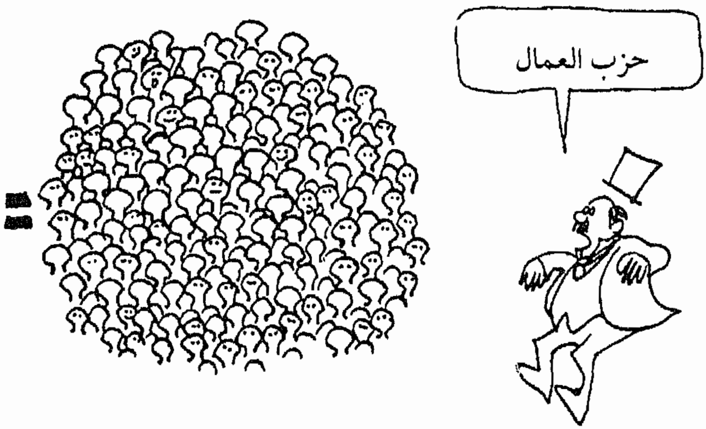


يد ممدودة بخمسة أصابع
ونفس هذه الاصابع
مجتمعة في قبضة واحدة
دليل علي الوحدة.
وليست هذه القبضة ترمز
إلي لاشيء بل هي رمز
لكفاح العمال. ثم ماذا؟

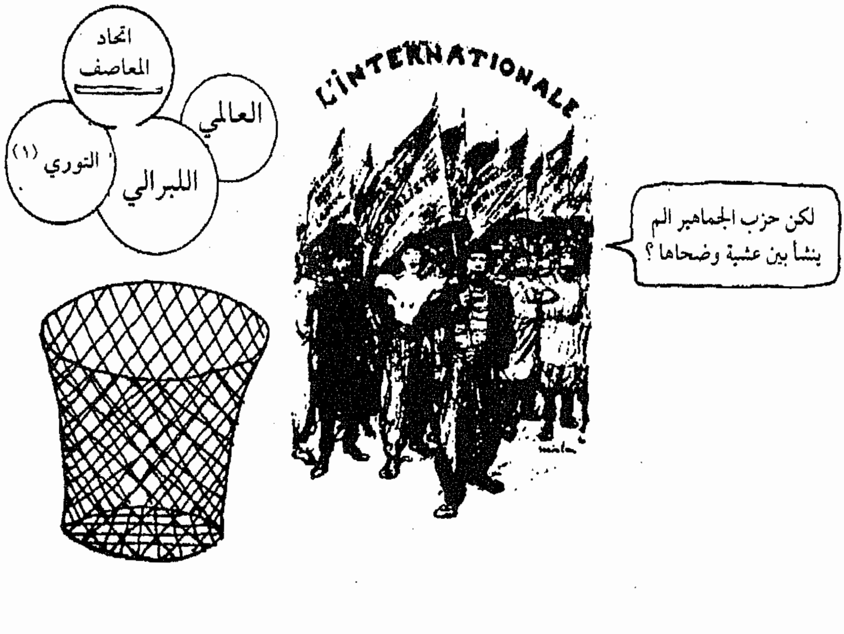


ويجعل ماركس هذه النقطة واضحة تماما كما هو الحال في التوضيح التالي.



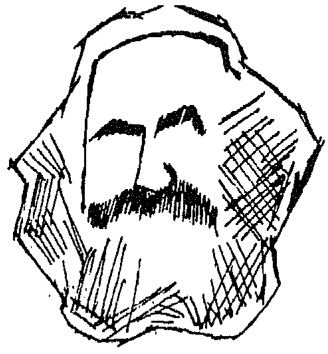


الطبقة العمالية هي وحدها في صراعها مع الطبقة الحاكمة ـ التي تستطيع ان تُنشيء حزباً ـ كطبقه منظمة ـ خاصاً بها في مواجهة جميع الاحزاب القديمة الرجعية الاخري.



(١) حزب التوري وهو حزب المحافظين قديما في بريطانيا (المترجم).

وأول خطوة هي اقناع العامل بأن الاتحاد سيعطيه الوسيلة لتغيير وجوده ، أذ لابد أن يكون علي وعي بقوته، وبالاسباب التي من أجلها يعيش عيشة سيئة. وأن النظام الرأسمالي لن يحل مشكلاته أبداً كما أنه لابد أن يدرك ما الذي ستقدمه له الاشتراكية ..!



وفي كلمة واحدة لابد من تسييسه

أن تسييس الطبقة العاملة هو وحدة القادر علي احداث المرحلة التالية: الكفاح المنظم لانتزاع حقوقها..



وحتي في أيام ماركس كان البعض يؤمن بالفعل أن معكسر الاتحاد هو وحده القادر علي الحصول علي أعلي الاجور وأفضل الظروف المعيشية غير أن تلك طريقة خاطئة لفهم الاتحاد.



الهدف الاساسي لاي اتحاد للعمال ينبغي أن يكون تغيراً يستبق الاشتراكية والافسوف يكون مضيعة للوقت ، مثلما تفعل الاتحادات الامريكية تناضل وهي جاثية علي ركبتيها للنظام الرأسمالي



وسوف اضيف هامشًا لما قد نُسي: كالمخابرات.



يقدم ضد حزب العمال، هناك حكومة في الولايات المتحدة ، وجيش ، وشرطة، وقانون تقهر أي دعاية تقوم بها الالة!

المخابرات !!



ويقول ماركس آجلاً أو عاجلاً لابد أن تحدث المواجهة، كما أن الطبقة العاملة سوف تصل إلي الثورة، وربما ساعد حزب العمال البروليتاريا في اغتصاب تنازلات من الرأسماليين، غير أنه حتي لو حدث ذلك فلن يغير ظروف الاستغلال الأساسية (وسواء أكان الاستغلال قليلاً أم كثيراً فإنه لن ينتهي تماماً!

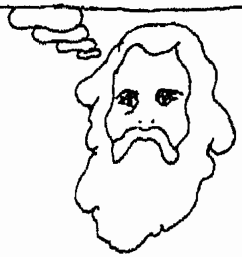


كفاح عمال الصناعة والزراعة داخل إطار الاتحادات اوالاحزاب ،وهي البرلمانات ليس سوي طريقة لاعداد وتنظيم واكتساب القوة للضربة الحاسمة.

«أما القول بأن قطاعاً صغيرا من الطبقة الحاكمة ينفصل وينضم إلي الطبقة الثورية مثلما حدث في فترات سابقة عندما انضم جزء من النبلاء إلى البرجوازية .

(البيان)





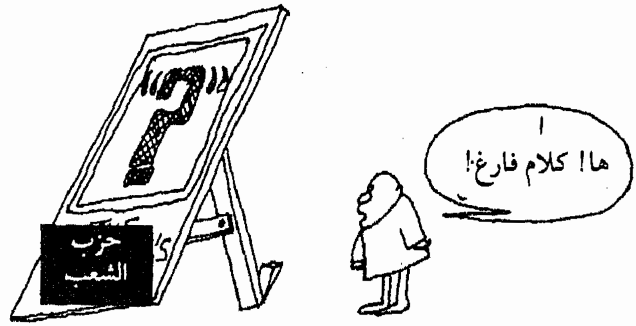
عندما تقترب الطبقة المكافحة من ساعة الصفر، فإن عملية التفكك سوف تثمر داخل الطبقة الحاكمة، والواقع أنه داخل نطاق المجتمع القديم كله ، تزعم مثل هذا الطابع العنيف الصارخ...»



هذا القطاع الصغير الذي انفصل عن البرجوازية يتدرج فيه المثقفون من امثال ماركس، وانجلز ولينين، وماوتس تونج ، وهو شي منه ، ، وفيدل كاسترو، وشي، ومجموعة من الآخرين لم يقوموا بشيء بمفردهم أو وحدهم.. كالطلبة الذين لايستطيعون تغيير شيء مالم ينضموا إلي قوي العمال والفلاحين ..

(آمين!)

لم يتخيل ماركس قط امكان قيام طبقة العمال بحركة منفصلة عن النظرية الاشتراكية. فالحزب الاشتراكي بلا جماهير تؤيده ، ليس سوى شبح، جسم بلا رأس أو العكس، فكل أحزاب اليسار التي فقدت اتصالها بمشكلات العمال والفلاحين الحقيقية.

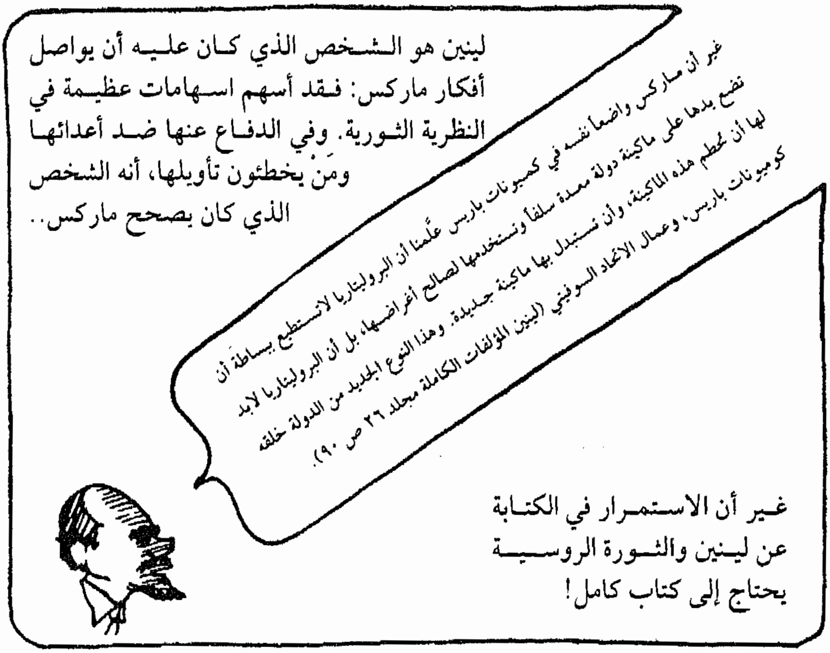


«أن تعاليم ماركس قوية لأنها صادقة لقد اكتملت، وانسجمت، وأمدت الناس بوجهة نظر متسقة عن الكون لا تعترف بأي فكر تأملي، أو خرافي، ولا تدافع عن أي قهر برجوازي، أنها الخلفية القانونية لأفضل من أنجبتهم البشرية في القرن التاسع عشر: المثالية الألمانية - الاقتصاد السياسي الإنجليزي - الاشتراكية الفرنسية».



كان على نظرية ماركس أن تنتظر ٢٤ سنة بعد وفاته قبل أن توضع موضع التطبيق. وفي بلاد كان من المستحيل - فيما يبدو - أن تحدث فيها في عام ١٩١٧ في روسيا. بفضل رؤية وكفاح أحد البرجوازيين وهو ماركسي يدعي لينين.

(قارن المصادر الثلاثة والمكونات الثلاثة للماركسية ص ١٩)



أعتقد أن هذه هي الصفحة المناسبة لكتابة

النهاية

(حسنا ، ليست كلها!)



لست مضطراً أن تقرأ الآن هذا المعجم! اتركه ليوم الأجازة ثم ابدأ من جديد ـ فيما بعد ـ وإني لآمل أن يكون أوضح من الصفحات السابقة..

معجم بأهم المصطلحات(١)

(١) لاحظ أن هذا المعجم مكتوب من زاوية ماركسية، فالمفاهيم والقضايا والمصطلحات التي يعالجها تعبر ـ صراحة ـ عن موقف المادية الجدلية (المترجم).

اللاأدرية[1] ... Agnosticism

(من الكلمة اليونانية agnostos = غير معروف) نظرية فلسفية ترى أن العقل البشري محدود، وأن الطبيعة الحقيقية للأشياء غير متاح معرفتها للإنسان. وترى هذه النظرية أن العالم الذي نلاحظه ونتعامل معه ليس واقعاً موضوعياً، بل هو بالأحرى نشاط لعقلنا ولأعضائنا الحسية. واللاأدرية تدحضها التجربة والعمل. ولقد رصف العلم الآن طريقنا إلى معرفة الأشياء. ويبقى فارق واحد بين ما عرفناه بالفعل وما لم نعرفه بعد.

ومن بين الفلاسفة اللاأدريين: هيوم، وكانط، وكونت، وسبنسر وماخ وغيرهم[2].

التحليل والتركيب.. Analysisand Synthesis

١ ـ التحليل (وهو في اليونانية) «الفك» يعني إعادة الشيء أو الظاهرة إلى عناصره البسيطة التي يتكون منها.

٢ ـ التركيب (في اليونانية الإنشاء أو التأليف) إعادة تأليف الشيء أو الظاهرة ككل.

وتعارض الميتافيزيقا بين التحليل والتركيب[3]. أما المادية الجدلية فهي تؤكد ـ بدلاً من ذلك ـ وحدة هاتين العمليتين. «فبدون التحليل لا يكون هناك تركيب» فيما يقول انجلز؛ فعلماء التشريح عندما يحللون الجسم البشري مثلاً فأنهم يدرسون أعضاء منفصلة. لكنك لكي تدرك المغزى الكامل والعميق لكل عضو، فأن التحليل لا يكفي. إذ من الضروري دراسة الكائن الحي ككل، والواقع أن دراسة الأجزاء ليست سوى عملية تركيب.

الحياتية (مذهب الأرواح) Animism

(من كلمة Anima اللاتينية بمعنى نفس أو روح) روحانية ظواهر الطبيعية، الايمان بأن خلف كل موضوع طبيعي يختبيء «روح» أو قوة عقلية لا تُرى. ولقد كان هذا «الميل لاضفاء الصبغة الروحية على ظواهر الطبيعة نتيجة لخلق الآلهة». فيما يقول انجلز.

---

(١) هذا المصطلح استخدمه لأول مرة العالم البريطاني توماس هكسلي (١٨٢٥ ـ ١٨٩٥) الذي كان صديقاً لداروين (المترجم).

(٢) أحكام شديدة العمومية كعادة الماركسيين دائماً (المترجم).

(٣) أية ميتافيزيقا؟ ميتافيزيقا هيجل ـ مثلاً ـ لا تفعل ذلك! (المترجم).

التطاحن **Antagonism**

(من الكلمة اليونانية Agon بمعنى تضاد) التناقض الذي لا يمكن فيه المصالحة بل يحل بالعنف. كالتناقض بين البرجوازية والطبقة العاملة لا يحل إلا عن طريق الثورة الاشتراكية. أما التناقضات بين الطبقة العاملة والفلاحين فهي لا تحمل طابع التطاحن.

الإلحاد **Atheism**

من الكلمة اليونانية التي تعني «بدون إله». السلب العلمي للدين، فلقد ولد الإلحاد في اليونان القديمة مع الفلاسفة الماديين: ديمقريطس، وأبيقور اللذين أنكرا ما فوق الطبيعة وذهبا إلى أن العالم ليس سوى مادة تتألف من ذرات.

ضد دهرنج (الرد على دهرنج) **Anti- Duhring**

العنوان المختصر لكتاب انجلز «الثورة العلمية ليوجين دهرنج» وهو كتاب كلاسيكي في الأدب الماركسي. والكتاب موجهة ضد الفيلسوف الألماني «دهرنج» والذي حاول تفنيد الماركسية والعودة إلى الميتافيزيقا. وهو تتويج لجهود انجلز لمدة أربعين سنة من الكفاح والدراسة.

الذرة **Atom**

أُدخلت فكرة الذرة إلى العلم لأول مرة على يد ديمقريطس وأبيقور منذ أكثر من ألفين من السنين. ولقد عمل عالم الطبيعة ـ نيوتن، وفلاسفة من أمثال «هولباخ»، وجاسندي على هذه النظرية.

البنية التحتية والفوقية .. **Base (or In Fra) and Superstructure**

أن أسلوب الإنتاج أعني قوى وعلاقات الانتاج التي تشكل الأساس الاقتصادي للبنية التحتية للمجتمع. وما أن يتحدد نمط البنية التحتية حتى تتحدد البنية الفوقية ذاتها بإيقاع أسرع أو أبطأ (وهي تشمل النظام السياسي، الفلسفة، الأخلاق، الفن، العلم... الخ) ـ أنظر أيضاً «الأساس الاقتصادي» Economic Base.

رأس المال **Capital (or Das Kapital)**

الكتاب الرئيسي لكارل ماركس . وهو تحليل تفصيلي للقوانين التي تحكم تطور النظام الرأسمالي ـ لكنه أيضاً دراسة تاريخية وفلسفية مكثفة. وفي هذا الكتاب تتطور المادية التاريخية بشكل أساسي.

المقولات ... Categories

أفكار تعبر عن العلاقات الأساسية والقوانين الجوهرية للعالم الواقعي. ومن أمثلة هذه المقولات في المادية الجدلية: المادة، الحركة، الزمان، المكان، الضرورة، السببية، الكم، الجوهر، الشكل، المضمون... الخ. وهي في المادية التاريخية هناك البنية الاقتصادية والاجتماعية، وقوى الانتاج، والبنية التحتية، والبنية الفوقية، والأيديولوجيا ... الخ.

السببية ... Causality

إحدى أشكال الاعتماد المتبادل للظواهر بصفة عامة في العالم الموضوعي. أن الماهية والسبب والنتيجة «ليست سوى لحظات من الاعتماد المتبادل والعلاقة الكلية، والرابطة بين الأحداث. وهي قبل كل شيء حاضرة في سلسلة تطور المادة». (لينين). فلا يمكن أن تكون هناك ظواهر (أو أحداث) بلا أسباب، فجميع الظواهر الطبيعية لها أسباب طبيعية ومادية. ويقف السبب والنتيجة في علاقة متبادلة كل منها بالآخر؛ ويوجد بينهما علاقة داخلية تنظمها قوانين.

وهكذا نجد أنه في النظام الاشتراكي فأن تطور التكنولوجيا يصبح سببا لزيادة رفاهة العمال.

صراع الطبقات Class - Struggle

(انظر أيضاً الطبقات الاجتماعية Social Classes)

الصراع بين المستغَلين والمستغِلين، يبرهن على أن مصالح الطبقات لا يمكن التوفيق بينها. وأشكال (الصراع الطبقي مختلفة: فهي اقتصادية وسياسية، وأيديولوجية، ونظرية. إلا أن مثل هذه الأنواع تابعة للصراع السياسي. ومع إقامة دكتاتورية البروليتاريا، فأن الصراع الطبقي لن يتوقف، لكنه سوف يتخذ أشكالاً جديدة.

الشيوعية Communism

نظرية ماركس وانجلز التي تقوم على أساس التصور المادي للتاريخ. والشيوعية هي المرحلة التي تلي الاشتراكية، وعندما تكف الطبقات الاجتماعية عن الوجود. والشيوعية لا توجد بعد في أي بلد. فالاتحاد السوفيتي، والصين وغيرها من البلاد الاشتراكية لا تزال في طور المذهب الاشتراكي حيث صراع الطبقات لم ينته بعد.

شـروط الحياة المـادية فـي المجتمع

Condition of the Material life of Society:

عناصر تحديد شروط الحياة المادية في المجتمع هي: ـ

(١) الموقع الجغرافي والمصادر الطبيعية.

(٢) الكثافة السكانية.

(٣) نمط الانتاج الذي يخلق السلع المادية الضرورية لبقاء المجتمع والقوة الأساسية التي تحدد تطورالمجتمع وانتقاله من نوع معين من النظام الاجتماعي إلى نوع آخر هو الانتاج المادي ـ أعني تطور القوى المنتجة للمجتمع».

داروين (تشارلز) (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢) **Darwin, Charles**

مفكر انجليزي شهير، ومؤسس نظرية التطور. «لقد وضع داروين نهاية للايمان بأن النوع الحيواني والنباتي لا علاقة لأحدهما بالآخر إلا بالصدفة، وأن الله خلقهما، ومن ثم فهما لا يمكن أن يتغيرا أو يتبدلا» (لينين).

الحتمية **Determinism**

نظرية تتعلق بالعلاقة الضرورية بين الحوادث والظواهر وشروطهما. فمثلاً فوضى الأسلوب الرأسمالي للانتاج يحدد الأزمة الاقتصادية بصورة حاسمة. وتطور الصراع الطبقي لا مندوحة له عن تحديد الثورة الاشتراكية.

اللاحتمية **Indetorminis**

تؤكد أن المجرى الطبيعي للأحداث في الواقع لا تخضع للقوانين بل للصدفة التعسفية المستقلة.

الجدل **Dialectic**

(من كلمة النقاش أو المجادلة اليونانية) كان عند الفلاسفة اليونان الأول يعبر عن فن معرفة الحقيقة بالكشف عن التناقضات في استدلال الخصم. ثم أصبح الجدل بعد ذلك (أحياناً أيضاً في صورة جدل) تحول إلى نظرية للتطور والعلاقات الكلية. وينظر الجدل إلى جميع الظواهر على أنها في حالة حركة، وفي حالة تغير مستمر. وهو ينظر إلى تطور الطبيعة نفسه على أنه نتيجة للصراع بين تناقضات داخل الطبيعة. ولقد أصبح الجدل علماً

عندما حرر ماركس وانجلز الجدل من المثالية الهيجلية. فقد أصبح نظرية للتطور ـ أو علم القوانين الكلية التي تحكم تطور الطبيعة، والمجتمع البشري، والفكر.

دكتاتورية البروليتاريا ... Dictatorship of the Proletariat

فترة الانتقال من الاشتراكية إلى الشيوعية التي تُخلق خلالها الشروط المادية من أجل البناء الاشتراكي، وكبت الطبقات والانتقال إلى مجتمع بلا دولة وبلا طبقات.

معتقد ـ الاعتقادية Dogma, Dogmatism

المعتقد هو تأكيد أو إثبات بلا برهنة بحيث يُقبل عن طريق الايمان الأعمى. وهذا هو السبب في أن ماركس وانجلز يقولان دائماً: «نظريتا ليست معتقداً Dogma وإنما هي دليل إلى العمل». ولسوء الطالع فأن الماركسيين الدجماطيقيين كثيراً ما ينسون هذا الجانب الحاسم من الماركسية، ومن ثم ينزعون عنها قوتها الثورية الخلاقة.

الثنائية Dualism

(من الكلمة اليونانية التي تعني اثنين)

اتجاه فلسفي يعارض الواحدية Monism (من الكلمة اليونانية Monos التي تعني واحد أو وحدة). ولا تقول الثنائية بجوهر بل باثنين مختلفية كأصل الوجود. وهكذا رأى ديكارت أن الإنسان مركب من جوهرين متميزين أحدهما مادي وهو الجسد والثاني روحي وهو النفس. أما الماركسية فهي تجعل المادة في حالة حركة أصلاً لجميع الظواهر الطبيعية وبوصفها السبب الأول. أما الوعي أو الشعور فهو سبب ثانوي أحدثته المادة.

النزعة التلفيقية Eclecticism

مجرد تجميع آلي لنظريات ومفاهيم مختلفة وسائدة، دون أي مبدأ سابق يربط بينها. ويحاول المفكر التلفيقي التوفيق بين المادية والمثالية.

الأساس الاقتصادي Economic Base

نمط أو أسلوب الانتاج هو في أساس النظامالاشتراكي. أن الأساس الاقتصادي (أو البنية التحتية) يحدد البنية الفوقية الاشتراكية بأسرها: الدولة، والمؤسسات السياسية، والأفكار، والنظريات ... الخ. «لا يمكن لبني المجتمع أن تتغير بسرعة إلا بتثوير الأساس الاقتصادية». (ماركس).

تنظيم المجتمع إلى طبقات: علاقات الانتاج التي تناظر مستوى معين يحددها تطور القوى المادية للانتاج.

مذهب النقد التجريبي Empirio - Criticism

تيار مثالي رجعي في الفلسفة نشأ في ألمانيا والنمسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكان منشئو هذا التيار: افيناريوس، وماخ، فقد أكدا أن «عناصر العالم» أي «عناصر التجربة» تقف في أساس جميع الظواهر. وكل شيء عبارة عن «مجموعة من العناصر» وهما يعنيان بكلمة «العناصر» واقعة أن الاحساس هو في أساس الظواهر، لكن بتلك الطريقة التي توحد «العنصر» بالإدراك الحسي.

أبيقور (٣٤٢ ـ ٢٧٠ ق.م) Epicurus

فيلسوف مادي ومُعلّم كان يتبع ديمقريطس في الفلسفة

التطور والثورة (أو الارتقاء والطفرة) Evolution and Revolution

التحولات الكمية لنوع ما وتسير ببطء غير مُدرك وبطريقة متقطعة فذلك هو الارتقاء. أما التحولات الكيفية ـ على العكس ـ التي تحدث عن طريق القفزات مرة واحدة فتلك هي الطفرة. والتطور يتضمن الاثنين معاً بالضرورة والارتقاء يمهد الطريق أمام الطفرة (أو الثورة) .غير أن المذهب الانتهازي يحل الإصلاح محل النضال الثوري.

الوجود Existence

مصطلح فلسفي يخصص الواقع الذاتي للمادة.

الوجود والوعي الاجتماعي Existence and Social Consiousness

الوجود من وجهة نظر المادية الجدلية سابق على الوعي. في حين أن الوعي هو انعكاس بسيط للمادة وللطبيعة، وللفكر البشري ومن ثم فهو ثانوي. أن الوجود الاجتماعي أعني أسلوب الانتاج للسلع المادية، وللأشياء، والغذاء، والملابس... الخ ـ هو عنصر سابق يحدد الوعي الاجتماعي والروحي، والحياة العقلية للمجتمع (ثقافته) ولقد مدّ ماركس المادية إلى مجال الظواهر الاجتماعية عن طريق اكتشاف أن الوجود الاجتماعي في أسلوب الإنتاج يحدد الوعي الاجتماعي.

التجربة (المعملية)[1] Experiment

يُفهم من التجربة عادة «التجربة العملية» لإجراءات تثبت صحة المعرفة عن طريق الملاحظة المباشرة للظواهر ـ سواء في المعمل أو في الواقع الموضوعي.

وتفسر الفلسفة «التجربة المعملية» إما بصورة مادية أو مثالية . فالتجربة في نظر المادية الجدلية تفترض مقدماً وجود العالم المادي الموضوعي الذي يوجد مستقلاً عن الوعي البشري. لكن التجربة عند المثالية لا تتضمن الموضوعات المادية ولا حتى الظواهر وإنما هي بالأحرى تتعلق بانطباعاتنا الماضية. وهكذا يمكن اعتبار «الشعور الديني» وحده على أنه برهان تجريبي كاف على وجود الله.

القدرية Fatalism

(من الكلمة اللاتينية التي تعني «القدر») مفهوم مثالي يذهب إلى أن التطور التاريخي مقدر سلفاً بواسطة قوى مجهولة، أو بواسطة «الألوهية». والقدرية تنكر الوظيفة الخلاّقة للشعب، وكذلك النضال السياسي في التاريخ، وتجعل من الإنسانية لعبة في يد الله، أو القدر، عاجزة عن التأثير في الأشياء من خلال الفعل.

الصنمية ـ الفتشية (عشق الرمز) Fetishism

تأليه الأشياء وهو يعني اضفاء قوى خارقة غريبة عن الطبيعة البشرية. وفي العصور البدائية كان «الفتش» عبارة عن شيء مرعب ثم أصبح بعد ذلك شيئاً يجلب الحظ السيء أو الحسن. وفي النظام الرأسمالية أصبحت فتشية المال، الملكية الخاصة والسلع هي سحر ملكية الرأسمالي.

فويرباخ (لودفيج) ١٨٠٤ ـ ١٨٧٢ Feuerbac (Ludwig)

أحد الماديين الألمان الأساسيين الذي أعلن ودافع عن الإلحاد وأثر في مؤسسي الماركسية. غير أن فويرباخ بقى مثالياً في تصوره للظواهر الاجتماعية، مهملاً الأساس المادي للمجتمع، ميز بين المراحل المتتالية للتطور البشري تبعاً للأشكال المختلفة للوعي

(١) هناك خلط واضح بين التجربة المعملية Experiment وهي تنحصر في مجال العلم، وبين التجربة بصفة عامة Experience التي تعني التجربة الذاتية أو الشخصية وهي احتكاك المرء بالعالم الواقعي عموماً (المترجم).

الديني. ولم يدرك فويرباخ أهمية العقل الثوري العملي، أو التفاعل الجدلي بين الإنسان والطبيعة، وتحول البشرية في عمليات الانتاج.

الايمانية Fideism

(من الكلمة اللاتينية Fides بمعنى «الايمان» . نظرية (لا سيما في الأقطار اللاتينية) تستعيض عن الفهم بالايمان وتشدد على الدور المحدد الذي يقوم به. ويرى لينين أن الفلسفة المثالية هي مذهب ايماني ضعيف أو مخفف إن صحَّ التعبير كهنوتية (انظر المثالية Idealism).

قوى الانتاج Forces of Production

أدوات أو وسائل الانتاج التي تنتج سلعاً معينة، وكذلك الأشخاص الذين يستخدمون هذه الأدوات والسلع المادية المصنعة بفضل التجارب والتدريب والقوى الانتاجية (الآلات، والأدوات، والمواد الخام ... الخ) وقوى العمل البشري لابد أن تكون حاضرة لعناصر لازمة للعمل. وتعتمد الحياة الاجتماعية على القوى الانتاجية التي تعدّها وعلى أساليب الانتاج التي تستخدمها. ومن ثم فأن أهمية التخطيط الاجتماعي لهذه القوى التي لن تجني ثمارها إلا مع الاشتراكية.

الشكل والمضمون Form and Content

في الطبيعة، وفي المجتمع، وفي الفكر لكل شيء مضمون وشكل. فالإصلاح الزراعي، مثلاً قد يكون هو المضمون، لكن قد يختلف شكله حسب أساليب الانتاج.

المنطق الشكلي (أو الصوري) Formal Logic

نظرية تتعلق بقوانين الفكر البشري، تفصل الطبيعة عن البحث في هذه القوانين. والمنطق الصوري (أو الشكلي) لا يشغل نفسه بالحقيقة المادية. (الفكر المخلص، وتصور ظواهر الطبيعة) بل بالحقيقة «الصورية» وحدها، ومن هنا جاء اسمه. وها هنا يكمن أساس المنهج الصوري. أما الجدل (أعني المنطق الطبيعي) فهو عكس المنطق الشكلي طالما أنه يرى أن مضمون الفكر، ومباديء المنطق وقوانينه لابد أن تناظر المادية والطبيعة والقوانين التي تنظمها، ويؤكد المنطق الصوري أن جميع الموضوعات والتصورات مساوية لنفسها (أعني تصور الهوية الشكلية أن أ = أ). أما المادية الجدلية فهي تبيّن لنا أن كل موضوع هو في هوية مع نفسه وفي غير هوية مع نفسه في وقت واحد، إذ تكتنفه عملية من مسار التطور.

الحرية والضرورة ... Freedom and Necessity

كثيراً ما تقابل الميتافيزيقا بين الحرية والضرورة. وإذ يؤكد بعض الميتافيزيقيين أن الإرادة حرة بطريقة مطلقة أي غير مشروطة، في حين يؤكد البعض الآخر أن الإرادة الحرة لا وجود لها وأن ما هو موجود هو الضرورة المطلقة فحسب. فإما الحرية أو الضرورة... وهذه المواقف ـ من وجهة النظر الماركسية ـ غير علمية، ذلك لأن الحرية لا تكمن فقط في الاستقلال الخيالي في مواجهة قوانين الطبيعة، بل في معرفة هذه القوانين، وامكان استخدامها على نحو إيجابي في الفعل العملي. يقول انجلز: «الحرية تعتمد على السيطرة على الذات، وعلى الطبيعة الخارجية، سيطرة تقوم على أساس معرفة ضرورات الطبيعة. وبالتالي فالحرية هي الضرورة الواعية. وبدون فهم الضرورة لا يمكن بلوغ الحرية الحقيقية».

هيجل (چورج فلهم فريدرش) ١٧٧٠ ـ ١٨٣١ .. Hegel (G. W. F)

فيلسوف ألماني، وجدلي مثالي. والطبيعة عند هيجل لا تتطور عبر الزمان لكنها تتنوع أزليا في المكان فحسب. وأكثر الجوانب قيمة في فلسفة هيجل المثالية هو المنهج الجدلي الذي استخدمه ـ أن الأفكار تتطور من تناقضات جدلية. وأن التحولات من الكم إلى الكيف تكمن جذورها في هذا التطور. وأن الحقيقة عينية وأن العملية التطورية للمجتمع البشري تتحقق عن طريق خضوعه للقوانين لا بالصدفة لا بضغط شخصيات خارجية. غير أن هيجل كان خائر العزيمة ضعيفاً ومتناقضاً فقد انحنى أمام النظام الملكي الاقطاعي البروسي، وقلل من الحدود القصوى لمواقفة الجدلية بسبب الخوف والمصلحة الخاصة. يقول ماركس «أن منهجي الجدلي لا يختلف عن منهج هيجل فحسب وإنما يعارضه معارضة مطلقة». لأن الفكر عند هيجل يخلق الواقع. أما الأفكار المتضادة عند ماركس فهي ليست أكثر من مادة امتصها وحولّها الفكر البشري.

المذهب الإنساني Humanism

التيار الثقافي المتطور من القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر. تصور الواقع الاجتماعي الصحيح نتيجة لظهور البرجوازية الوليدة عندئذ التي كافحت لكي تحرر الشخصية الإنسانية والعلم من عبودية نظام الاقطاع الديني. بترارك بوكارشيو، ارازموس، ماكيافللي ... الخ. حيث كان بعض ممثلي المذهب الإنساني من البرجوازيين. ولم يستطع

المذهب الإنساني البقاء في ظل النظام الرأسمالي لأنه يعارض استغلال الإنسان لأخيه الإنسان وذلك هو ماهية الرأسمالية ذاتها. أن التحرر الحقيقي للإنسانية لا يمكن أن يجلب معه مذهباً إنسانياً أصيلاً.

هيوم (ديفيد) (١٧١١ ـ ١٧٧٦) **Hume, David**

فيلسوف برجوازي انجليزي ومؤرخ وعالم اقتصاد. وبوصفه فيلسوفاً لا أدرياً اعترف باستحالة حل مشكلة وجود أو عدم وجود الواقع الموضوعي. فهو يؤكد أننا لا نستطيع أن نعرف ماذا تكون الأشياء في ذاتها أو هل توجد أو لا توجد. منكراً بذلك الاساس المادي للأشياء والسببية. وانتهى هيوم إلى أن الشيء الوحيد الموجود هو تدفق الإدراك السيكولوجي في الوعي البشري. وأن العلم لا يؤدي إلا إلى الوحدة البسيطة لهذا التدفق مع احتمال ضئيل إما فهم أو تصور قوانينها.

المثالية **Idealism**

فلسفة نرى الواقع تجسيداً «لفكرة كلية» أو «للوعي». وترتبط المثالية ارتباطاً وثيقاً بالدين وتؤدي تقريباً بصراحة إلى فكرة الله.

الأيديولوجيا **Ideology**

مجموعة من الأفكار والخواطر والمزاعم والتصورات المحددة والتمثلات: فالسياسة، والعلم، والأخلاق، والفن، والدين صور أو أشكال من الأيديولوجيا. وجميع الايديولوجيات هي انعكاس للواقع الاجتماعي ففي المجتمع الذي يقوم على الطبقات تعبر الايديولوجيا وتدافع عن مصالح الطبقات التي تتصارع. وفي المجتمع البرجوازي يتطور الصراع بين الايديولوجيا البرجوازية والايدلوجيا الاشتراكية. وليس هناك حد أوسط ما دامت الإنسانية ـ فيما يؤكد لينين ـ لم تبتكر «أيديولجيا ثالثة».

الاستقراء والاستنباط **Induction and Deduction**

الاستقراء Induction منهج في الاستدلال يعتمد على الانتقال من الجزئي إلى العام، من الوقائع إلى التعميم.

الاستنباط.. Deduction منهج في الاستدلال يعتمد على الانتقال من العام إلى الجزئي، من القضايا العامة إلى النتائج الجزئية..

أدوات (أو وسـائل الانتـاج)

Instraments (Or Tools of Pruductin)

العناصر الرئيسية للقوى الانتاجية (مثل الآلات) التي تستخدمها الإنسانية لكي تعمل في الطبـيعة، وتحـولها إلى سلع مـادية. ويقول مـاركس أن الحقب الاقـتصادية لا يـختلف بعضها عن بعض كثيراً فيما تنتجه بل في كـيـف تنتجه. كيف ينتجه العمل. وليس وسائل الانتاج مجرد تدابير بسيطة لقوة العمل البشري لكنها تشير كذلك إلى العـلاقات التي يتم العمل بواسطتها.

كـانـط (امانويل) ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤ Kant (Immanuel)

مؤسس المثالية الألمانية؛ حاول التوفيق بين المثالية والمادية؛ «عندما يسلم كانط بأن هناك ما يسمى بالشيء في ذاته يقع خارجنا، ولابد أن يناظر تمثلاتنا له، فقد كان عندئذ فيلسوفاً مادياً. لكنه عندما أعلن استـحالة أن نعرف هذا الشيء في ذاته، فقد أصبح فيلسـوفاً مثالياً» (لينين) وكما أعلن كانط نفسه أن المشكلة الرئيسـية في نظريته عن المعرفة هي تحديد حدود قوانين العـقل، بينما لا يزال يحـتفظ بمكان لله فيـما وراء هذه الحـدود. ويعتقـد كانط ـ في نظريته عن الأخلاق ـ أن من «الضروري» الاعتراف بوجود الله، وخلود النفس، وذلك لكي تضع أساساً للأخلاق.

المـاركسـيـة اللـيـنـيـنـة Marxism-Leninism

نظرية حركـة تحرير البـروليتاريا. النظرية والتـطبيق في دكتـاتورية البروليـتاريا. نظرية إقامة المجتمع الشيوعي.

المـادة (أو المـادي) Matter (Or Material)

العالم بطبيعته مادي، وتنوع الظواهر في الطبـيعة يناظره أشكال متميزة من المادة في حالة حـركة. ولقد كتب لينين يقول أن المادة مقولة فلسـفية لتحديد الواقع الموضوعي الذي يتـمثل أمـام الإنسانيـة من خـلال الإدراك البشـري. المادة تنسخ أو تصـور فوتوغـرافيـاً أو تنعكس من خلال الاحساسات البشرية في حين أنهـا تحتفظ بوجود مناسب لذاتها ومستقل عن هذه الاحساسات.

المادية .. Materialism

أحد التيارين الرئيسين في الفلسفة الذي يقدم إجابة نوعية خاصة للمشكلة الأساسية: مشكلة العلاقة بين الفكر والوجود، فالمادية تعترف بالمادة كعنصر أول والوعي (أو الفكر) كعنصر ثانوي. وهي تعتمد على العلم ـ لا سيما العلوم الطبيعية. ولقد استردت المادية الجدلية التراث المادي كله الذي سبقها ونسقت كل ما له قيمة فيه (انظر فيما يلي).

المادية (الجدلية) .. Materialism (Dialectical)

النظرية الفلسفية التي صاغها ماركس وانجلز، وقد سميت بهذا الاسم بسبب طريقتها الجدلية في مواجهة ، ودراسة وفهم ظواهر الطبيعة. وهي مادية بسبب طريقتها في تفسير الظواهر وهكذا أقامت نظريتها، فالمادية الجدلية هي التفسير العلمي الوحيد للعالم، وهي تعارض المثالية التي تقدم تفسيراً يقوم على أساس الدين.

المادية (التاريخية) Materialism (Historical)

النظرية الماركسية حول تطور المجتمع البشري. المادية التاريخية ترى في تطور السلع المادية ضرورة للوجود البشري، القوة الأولى التي تحدد الحياة الاجتماعية بأسرها (والتي تشترط انتقال نوع من النظام الاجتماعي إلى نوع آخر).

وهذه السيطرة البشرية على الطبيعة يعبر عنه في تطور قوى الانتاج في المجتمع. وتحوي القوى الاجتماعية ـ الاقتصادية عبر التاريخ (من الشيوعية البدائية إلى الرق، إلى النظام الاقطاعي والرأسمالي) ـ هو قبل كل شيء تغير من أنواع معينة من أساليب الانتاج والعلاقات نحو أنواع أخرى متقدمة أكثر. ومثل هذا التغير هو النتيجة الضرورية وسببها هو القوانين التي تخضع لها القوى الاجتماعية الانتاجية في كل مكان.

واكتشاف الاساس الحقيقي للتطور الاجتماعي تطور الحياة (أي الانتاج المادي) يسمح للمرء أن يرى لأول مرة أهمية روح الجماهير المنتجة. فعظماء الرجال ليسوا هم وحدهم الذين يصنعون التاريخ، وإنما العمال، المحرك الأول الحقيقي لعملية الانتاج، الذين أنجزوا المهمات المادية الضرورية للوجود الاجتماعي.

المادية (الآلية ــ أو الميكانيكية) Materiatism (Mechanistic)

صورة مبكرة من المادية كانت تبحث عن تفسير لجميع الظواهر الطبيعية عن طريق

القوانين الآلية. وهي تنظر إلى الحركة لا على أنها تغير بصفة عامة، بل على أنها إزاحة آلية للأجسام في المكان بسبب مؤثرات خارجية ـ وعلى أنها تصادم محض بين كيانين. وتنكر المادية الآلية الحركة التلقائية للأجسام، وتغيرها الكيفي، والتطور عن طريق القفزات، والانتقال من الأدنى إلى الأعلى.

الميتافيزيقا **Metaphysics**

من المقطع اليوناني Meta.. ما بعد، ما وراء و Physics أي الطبيعة (وهي عبارة عن مؤلفات أرسطو التي جاءت بعد كتب الطبيعة)(١). ويؤكد المنهج الميتافيزيقي أن الأشياء وعلاقاتها الذهنية (أي التصورات) هي منفصلة أساساً، ثابتة لا تتغير، متحجرة، تعطى لمرة واحدة وإلى الأبد، ومن هنا يمكن أن نبحثها بشكل منفصل ومستقل الواحدة عن الأخرى. وتذهب الميتافيزيقا من حيث المبدأ إلى أن الطبيعة ساكنة، ثابتة لا تتغير ولا تتحرك. وهي تنظر إلى عمليات التطور، بشكل فريد، على مستوى كمي لأن مستوى كيفي. والموقف الفكر من الناحية السياسية هو موقف ينكر صراع الطبقات، ويحاول أن يبيّن أن الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية يمكن أن يتحقق بدون انقطاع عنيف، بل بالذوبان السلمي للرأسمالية في الاشتراكية.

الميثوولوجيا (علم مناهج البحث) **Methodology**

نظرية عن المنهج: مجموعة الإجراءات والتقنيات الخاصة بالبحث التي يمكن تطبيقها على جميع العلوم.

الواحدية **Monism**

(من الكلمة اليونانية Monos التي تعني واحد) نظرية فلسفية تعترف على عكس الثنائية أن سبب الوجود كله هو مبدأ ـ أو أصل ـ واحد فقط. والماديون، مثلاً، يذهبون إلى

---

(١) كان أندرونيقوس الرودسي (٦٠ ق.م) الرئيس الحادي عشر لمدرسة المشائين هو أول مَنْ أطلق كلمة ميتافيزيقا على مجموعة البحوث الأرسطية التي تعرف الآن بهذا الاسم. وكان يقوم بترتيب مؤلفات أستاذه فوجد مجموعة بحوث لا تحمل اسماً فأطلق عليها «ما بعد الطبيعة» أي التي ترد في الترتيب بعد كتب الطبيعة أو الفزيقا لأرسطو. فجاء الاسم عرضاً ثم اعتبر صحيحاً في وصفه لطبيعة الموضوعات التي يدرسها هذا العلم (المترجم).

أن المادة هي السبب الوحيد لكل الظواهر، بينما ترى المثالية الواحدية أن الروح أو الله أو العقل.

الأخلاقية ـ الأخلاق Morality, Marals

عادات الحياة الاجتماعية، والسلوك الإنساني، أحد أشكال الوعي الاجتماعي. ويذهب الماديون إلى أن الأخلاق تتغير بتغير النظام الاجتماعي. فهناك أخلاق تناسب دولة العبيد. وأخرى لدولة الاقطاع. وثالثة للبرجوازية، ورابعة للشيوعية. إذ تفرض الطبقة الحاكمة «أخلاقياتها» وتضعها موضع التطبيق تبعاً لمصلحة الطبقة التاريخية.

سلب السلب Negation of Negation

قانون سلب السلب أساسي للجدل. فكل ظاهرة ـ لأنها متناقضة داخلياً ـ تحتوي في ذاتها على سلبها الخاص (أو على ضدها). وهكذا ينكشف بداخلها صراع بين ما كان وما يصير ـ بين القديم والجديد. غير أن سلب الحالة الماضية ليس سلباً خالصاً أو عابثاً أو نفي بسيط لكل شيء (كما تعتقد الميتافيزيقا)، فالسلب ـ في الجدل ـ لا يعني أن تقولا فقط أو أن تقول ببساطة شيئاً لا وجود له، أو أن تدمره بطريقة ما». (كما يقول انجلز). الجدل يتطلب البرهنة على العلاقة بين السلب والايجابي، لدرجة أننا نلتقي بالايجابي في صورة سلبية» (لينين) وهكذا فأن الشيوعية تعلن أن كل شيء إيجابي قد خلقته الإنسانية حتى ما قامت به تحت نير الرأسمالية . وهذا هو الايجابي في صورة سلبية. والمجتمع الشيوعي ـ بدوره ـ هو سلب لنظام الطبقة المستغلة أي سلب للسلب.

الموضوعي Objective

الموضوعي ـ في مقابل الذاتي. ما هو موجود خارجي الوعي البشري على نحو مستقل، وهو ما يعكسه الفكر البشري بصورة أصيلة.

وحدة الوجود (أو شمول الألوهية)(١) Pantheism

(من المقطع اليوناني **Pan** بمعنى كل و **Theos** بمعنى إله). نظرية فلسفية تنظر إلى الألوهية على أن المبدأ الأول الروحي اللاشخصي موجود في الطبيعة ـ وعلى ذلك فكل شيء إلهي.

---

(١) أي أن وجود الله ووجود الطبيعة شيء واحد ومن هنا كانت وحدة وجود (المترجم).

أفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م) Plato

فيلسوف يوناني وصاحب أيديولوجيا خاصة بأرستقراطية ملكية العبيد. ومؤسس المثالية الموضوعية التي تؤكد أنه يوجد إلى جانب عالم الأشياء التي يمكن إدراكها حسياً، عالم آخر هو عالم المثل. ففيما وراء الأشجار التي يراها الإنسان بالفعل (والمشتقة من ماهيات مختلفة) يؤكد أفلاطون أن هناك المثال الفريد «للشجر» الفريد الأزلي، وتلك هي الحال بالنسبة للطبيعة بأسرها. وليست الأشياء ـ فيما يرى أفلاطون ـ سوى ظلال للمثل. فالمثل أزلية والأشياء زائلة أو عابرة. والمثل لا يدركها الحس بل العقل وتصوراته فهو وحده الذي يعطينا المعرفة الحقة بماهيات الأشياء في الواقع.

الفلسفة Philosophy

(من الكلمة اليونانية ..Philos أي حب أو محبة و Sophos علم أو حكمة) وهي في المادية الجدلية علم أكثر القوانين عمومية في الطبيعة. المجتمع البشري والفكر. والمشكلة الأساسية للفلسفة هي مشكلة العلاقة بين الفكر والوجود. وقد انقسمت جميع الاتجاهات الفلسفية بحثاً عن إجابة عن هذا السؤال إلى معسكرين: المادي والمثالي. الفلسفة الألمانية الكلاسيكية The Classical German ، Philosophy في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. مؤسسها هو كانط ثم تلاه فشته وشلنج. ويمثل مذهب هيجل القمة التي وصلت إليها هذه الحركة. وتعكس الفلسفة الألمانية الكلاسيكية تأثيرات الحركات الثورية الأوربية. غير أن هذه المؤثرات قد انحرفت بفعل الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتخلفة لهذه الحقبة. ولقد أسهمت الفلسفة بشيء أساس وهو الجدل المتجدد كنظرية للتطور، الذي تلقفه ماركس وجعله الأساس في المادية الجدلية. ولقد حلل انجلز هذه الفلسفة تحليلاً رائعاً في كتابه «لودفيج فورباخ ونهاية الفلسفة الألمانية الكلاسيكية».

الوضعية Positivism

واحد من أوسع التيارات المثالية انتشاراً داخل الفلسفة البرجوازية. والوضعية، فيما يرى مؤسسوها ـ لا تقوم على استنباطات مجردة بل على وقائع حقيقية «وضعية». ويعتقد أوجست كونت ـ مبدع هذه الفلسفة ـ أن الذهن البشري لابد أن ينبذ كل جهد لمعرفة ماهية الأشياء ذاتها ويقنع بالحقيقة المستمدة من الملاحظة والتجربة. غير أن ذلك ليس سوى «لاأدرية» حديثة.

الملكية الخاصة Property

ظهرت الملكية الخاصة بعد ظهور البشرية بفترة طويلة ففي المجتمع الشيوعي البدائي، كانت وسائل الانتاج تملك على المشاع. وفي مجتمع العبيد كان «صاحب العمل» هو المالك للوسائل البشرية للانتاج؛ ومن هنا جاء أصل الملكية الخاصة. وفي ظل الاشتراكية أصبحت وسائل الانتاج تنتمي إلى المجتمع لا إلى الأفراد الجزئين ـ ومن هنا جاء أصل الملكية الخاصة. وفي ظل الاشتراكية أصبحت وسائل الانتاج تنتمي إلى المجتمع لا إلى الأفراد الجزئيين ـ ومن هنا كانت الملكية اشتراكية.

المذهب العقلي Rationalism

نظرية تميل إلى اعتبار العقل المصدر الوحيد للمعرفة الحقة ـ وهو ضد المذهب التجريبي Empiricism الذي يجعل من الإدراك الحسي مصدراً للمعرفة. وكان ديكارت وليبنتز من الممثلين اللامعين للمذهب العقلي.

علاقات الانتاج Relations of Production

العلاقات المتبادلة القائمة بين الناس في عملية انتاج السلع المادية. ففي استطاعة الأشخاص انتاج البضائع أو السلع لا فقط بطريقة فردية بل بطريقة جماعية عن طريق الاتحاد وممارسة العمل الشيوعي. ويحدد التاريخ خمسة أنواع رئيسية لمثل هذه العلاقات:ـ

(١) حالة الشيوعية البدائية حيث كانت ملكية وسائل الانتاج والمنتجات مشاعاً. ومع الانتقال (من الأدوات الحجرية إلى المعدنية) تحولت القبائل إلى الزراعة والتجارة وبدأ تراكم السلع. ولقد أدى ذلك إلى ميلاد الملكية الخاصة واحتكار القلّة للثروة المكدسة، وظهور الطبقات: الملاك والعبيد.

(٢) في حقبة العبيد حل العمل الحر محل استغلال العبد. وتقطعت الأرض وتمَّ توزيعها على الأقنان الذين كانوا يعملون للمالك أحياناً بحرية وأحياناً بدفع الأجر عينا لا نقداً.

(٣) ومع ظهور البرجوازية أو مجتمع ما قبل الرأسمالية أمسكت طبقة الرأسمالية ـ وهم القلّة ـ بوسائل الانتاج واستغلت طبقة الأحرار.

(٤) المجتمع الاشتراكي الذي استعاد الملكية العامة لوسائل الانتاج. وأعاد الناتج إلى المنتج، وألغى استغلال الطبقة الحاكمة.

الدين **Religion**

مجموعة المعتقدات وممارسة الطقوس التي اخضعت الحياة البشرية لنظام الهي اعلي وقد ظهر في التاريخ كصورة من صورقهر الشعرب عن طريق الطبعالحاكمة ولهذا رأت الماركسية في الدين استغلالاً للجهل البشري وسرعة التصديق.

التحريفية (المراجعة) **Revisionis**

اتجاه معاد للماركسية يسعى إلى «تصحيح» الأسس الفلسفية للمادية الجدلية. واليوم ـ مثلاً ـ تتهم كل من الصين والاتحاد السوفيتي الآخر بالتحريفية أو «المراجعة» في أسلوب تطبيقها للاشتراكية.

الاسكدلائية (الفلسفةا لمدرسية) **Scholasticism**

من الكلمة اللاتينية Schola التي تعني مدرسة ، ومن اليونانية Skhole (وقت فراغ) يجتمع تحت هذا الاسم مدارس فلسفة مختلفة في العصور الوسطي. لكن يرتبط كل منها ارتباطا مباشراً بالعقيدة الدينيةوهي كلها علي حد سواء «خادمة للاهوت» وهي كلها تتغاضى عن الطبيعة. وقد أقرضت هذه الدجما طبقيةاسمها «الاسكولائية» إلى كل استدلال غريب عن الواقع . وكل فلسفة لاأساس لها.(ومناقشات سياسية معينة) الخ والاسكولائيون الرئيسيون (أو رجال المدرسة) هم توما الاكويني، وانسلم اوف كانتربري، وداتر سكوت، ووليم الاوكامي..ا لخ.

الاشتراكية **Socialism**

نظرية اجتماعية سياسية في الاقتصاد تعبّر عن الصراع للتوزيع العادل للثروة ، عن طريق استبعاد الملكية الخاصة، والطبقة الحاكمة المستغلة . ومثل هذا التوزيع للثروة ، من حيث التطبيق ،تنجزه الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج والتبادل، والانتشار..

الاشتراكي] (الطوباوية او الخيالية) **Socialism (utopian)**

اشتراكية غير علمية تقوم علي نظريات خيالية او تفاؤلية أخذ بها الاشتراكيون الطوباويون الفرنسيون والانجليزي في القرن التاسع عشر.

علم الاجتماع **Sociology**

علم الاجتماع كما أسسه كونت وهربرت سبنسر وهو لا يهتم بالصراع الطبقي.

ولقد نجح ماركس في الارتفاع بعلم الاجتماع إلي مستوي العلم، بأن برهن علي تطور المجتمع وهو لايتحدد فقط بواسطة الأفكار بل عن طريق علاقات الانتاج .و هكذا بين لنا أن مجري الافكار يطيع مسار الاشياء .كما أوضح ماركس ايضاً أن مشكلة البحث العلمي في المجتمع تتوقف علي تفسير تلك القوانين التاريخية الجزئية التي تنظم الاصل، والوجو د، وتطور وانهيار أي كائن اجتماعي والتحول إلي كائن آخر كائن أعلي.

المذهب السوفسطائي(السفسطة) **Sophism, sophistiy**

استدلال غير صحيح يُعرض بتلك الطريقة التي تجعله يبدو صحيحاً . أو لاقناع الآخر، أو قيادته إلي الخطأ .وتستخدم السفسطة في النقاش ذي النتائج الخاطئة. اما خصائص المنهج السوفسطائي فهي «أن تبدأ من تشابهات خارجية بين الوقائع بغض النظر عن علاقاتها بالحوادث» (لينين) وباللعب علي التشابهات الظاهرية يسعي السوقسطائيون إلي استخدام خصائص مجموعة من الظواهر لمجموعة أخري مختلفة عنها أتم الاختلاف.

اسبنوزا(باروخ) ١٦٣٢ ـ ١٦٧٧ **Spinoza, (Baruch)**

فيلسوف يهودي هولندي أنكر وجود الله كخالق للطبيعة واعتبر الله هو نفسه الطبيعة .بأن أطلق علي الطبيعة اسم الله، وذهب إلي أن الطبيعة هي سببه الخاص . كما أنه واصل المذهب العقلي عند ديكارت رغم أن مذهبه واحدي ، وهو مذهب ينشأ فيه الفكر داخل الطبيعية.

الدولة **State**

تنظيم سياسي للطبقة المسيطرة اقتصادياً مستهدفة الدفاع عن النظام الاقتصادي القائم (أو الموضع القائم) . وأيضاً أنهاء المقاومة ضدها عن طريق الطبقات الأخري . الدولة هي آلة تدعم سيادة طبقة علي أخري (لينين).

الزمان والمكان ... **Time and space**

يمثلان الصورة الموضوعية لوجود المادة : ولا ينفصل الزمان والمكان كلاهما عن المادة والعكس صحيح أيضاً . وتعلمنا المادية الجدلية أنه لايوجد شيء في العالم يقع وراء المادة في حالة حركة وأن المادة لايمكن أن تتحرك الا في زمان ومكان .. أما المثالية فهي تؤمن في معارضة المادية . أن الزمان والمكان من منتجات للذهن البشري وهو يفصل هاتين المقولتين كلاً منهما عن الأخري.

اللاهوت **Theology**

شبه علم يسعي لاعطاء أساس للدين عن طريق الحجاج الفلسفي .

القضية ــ النقيض ــ المركب . **Thesis, Anti thesisi, synthesis**

(من اليونانية : الاثبات النفي، الوحدة) كل عملية من عمليات التطور فيما يري هيجل تنقل هذه المراحل الثلاث : القضية. والنقيض ، المركب. وكل مرحلة تدحض المرحلة السابقة عليها ثم تعيد المرحلة الأخيرة الوحدة في ذاتها للسمات السائدة في المرحلتين السابقتين . ومن هنا أخذت أسمها: المركب وهذا هو الوجه السطحي للجدل.

الوحدة والصراع بين الاضداد

Unity and conflict Between Contraries

يضع الجدل كمبدأ ـ في معارضة الميتافيزيقا ـ أحد التناقضات الداخلية التي تنتمي إلي جميع الموضوعات و«الظواهر الطبيعية ». وكل شي ء بداخلها في حالة حركة مستمرة. وكل شيء يمثل في ذاته وحدة بين الاضداد .. لكل شيء ما ضي ومستقبل وتطور واضمحلال وجوانب إيجابية وجوانب سلبية. وهذا هو السبب في أن حركة من حالة سفلي إلي حالة عليا ينجزها الصراع بين إتجاهات متعارضة . فأساليب الانتاج داخل الرأسمالية تربط البرجوازي والبروليتاري في الحال بعلاقة تضاد من خلال الصراع.

مراجع للاطلاع

نصوص

The best way to study Marx is to read what he (often with Engels) wrote. His most famous short works - The Communist Manifesto; The Eighteenth Brumaire of Louis Napoleon; The Civil War in France; The Critique of the Gotha Programme; Poverty of Philosophy; Preface and Introduction to "A Contribution to a Critique of Political Economy"; Wages, Labour and Capital; Wages, Prices; Profit; and a (very) Selected Letters - are available in pamphlet form published by Foreign Language Press, Beijing, generally only from specialist bookshops, as are his Economic and Philosophic MS of 1844 (Lawrence and Wishart).

The best paperback edition of Marx is the nine-volume Penguin Classic edition, with one exception. This consists of four volumes by political and philosophical writings (Early Writings, ed. and intro. by lucio Colletti; The Revolutions of 1848; Surveys from Exile; The First International and After, all 3 vols ed. and intro. by Lucio Colletti; The Revolutions of 1848; Surveys from Exile; The First International and After, all 3 vols ed. and intro. by David Fernbach); Capital, 3 vols, ed. and intro. by Ernest Mandel; the Grundrisse, ed. and introduced by Martin Nicolaus; and - the exception - an edition of the Communist Manifesto with a splenetically hostile introduction and feeble notes by A. J.P.

Taylor. This well replaced by the Norton Critical Edition of the Manifesto (ed. and intro. by Frederc L. Bender) which, like all the other Penguins, is soundly edited and stimulationgly introduced.

Other selection are The Portable Karl Marx (ed. Eugen Kamenka) in Penguin; The Portable Karl Marx (ed. Eugen Kamenka) in Penguin; The Marx-Engels Reader (ed. Robert Tucker) (Norton); and Readings from Karl Marx* (ed. Derek Sayer) (Routledge). Two useful "Student editions" are Capital and The German Ideology (Contaioning the famous Theses on Feuerbach (ed. C.J. Arthur) (Lawrence and Wishart). For Those who want their Marx, and Engels, as complete as possible in English, the Collected Works is approaching completion (forty volumes out of the final fifty available so far). This edition is organized into four parts - Early Philosophical Works (vols 1-3), General Works in chronological order (vols 4-27), Economic Works (vols 28-37), and Letters (vols 38-50) (Lawrence and Wishart and International Publishers).

شروح

The Cambridge Companion to Marx* (ed. Terrell Carver) (Cambridge University Press) Contains essays on reception history, philosophy, aesthetics, feminism, and gender politics. Tom Bottomore's A Dictionary of Marxist Thought* (Blackwell) is a comprehensive dictionary of Marxism and its terminology.

The most thorough critical history and assessment of Marx and Marxism is Leszek Kolakowski's Main Currents of Marxist

Thought* (Oxford University Press, 3 vols), including Engels, Bemstein, Kautsky, Lenin, Luxemburg, Trotsky, Gramsci, Mao, Lukacs, and the Frankfurt School; in contrast, the briefest, limiting itself to Marx, is Peter Singer's Past Master Marx (also OUP).

سيرة حياة

The most comprehensive is David McLellan's Karl Marx- His LIfe and Though* (Macmillan); the most attractive to read is Isaiah Berlin's Karl Marx* (OUP) with an especially useful "Guide to Further Reading" (by T. Carver). A biographical treat, which also contains biographies of Engels and Lenin, and of the idea of revolution and revolutionary socialism from Paris, via Marx's Rhineland and London, to Petrograd, is Edmund Wilson's To the Finland Station (Penguin)

Nick Jacobs 1994

المحتويات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
المقدمة بقلم المترجم	5
مقدمة بقلم المؤلف	7
لندن أيام كارل ماركس	9
التعريف بماركس	11
مولد ماركس	14
دراسة ماركس	15
جامعة برلين	16
زواجه	22
مَنْ هو انجلز..؟	24
البيان الشيوعي	27
رأس المال	31
كيف كان يفكر الناس	37
طاليس	40
هيراقليطس	41
انكاجوراس	43
سقراط	43
أفلاطون، ديمقريطس، أرسطو	45
ديمقريطس	47
أرسطو	48
عصر الايمان	51
عصرا لنهضة	53
ديكارت وأسبينوز	56
المذهب التجريبي (لولو)	59
امانويل كانط	67

لماذا الميتافيزيقا 70
هيجل 75
المادية الجدلية 79
الاستقلال 80
البروليتاريا 84
مؤامرة المتساوين 85
سان سيمون وفورييه 86
بلانكي - برودون 87
بلانك 89
العائلة المقدسة 93
مشكلات اقتصادية 98
الأسعار 101
فائض القيمة 106
الاتحاد 110
البيان الشيوعى 122
المادية التاريخية 125
أسلوب الانتاج 126
نظام الاقطاع 128
البرجوازية 131
النظام الاجتماعى 140
النهاية 141
معجم المصطلحات الماركسية 141

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ - حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديڤيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامپوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو – أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازار	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ - المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردينا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارفر - رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروجان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الچينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنونًا	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى
٢٩٩ – ثورة التكنولوچيا الحيوية	جين ل. مارس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام

التنفيذ والطباعة: Stampa
11 ميدان سفنكس - المهندسين
تليفون: 3448824 - 3034408